

وسطية الإسلام

---

الناشر : دار الرشاد

العنوان : ١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة

تليفون : ٣٩٣٤٦٠٥

رقم الإيداع : ٩٨ / ٨٩٧٧

التقييم الدولى : 977 - 5324 - 74 - 2

الطبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ١٠ ، ٧ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين

تليفون : ٣٢٥١٠٤٣ - ٣٢٥٦٠٩٨

الجمع : آرمس للكمبيوتر

العنوان : ٣٢ شارع عبد اللطيف مجلس الأمة

تليفون : ٧٩٦٤٤٠٤

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الطبعة الثانية : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

مراجعة : محمد دياب

خطوط : لمعى فهميم

غلاف : محمد فايد

دكتور أحمد حمزة هاشم

# وسطية الإسلام



\_\_\_\_\_



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فإن الإسلام دين عالمي ، يدعو أتباعه إلى عقيدة سمحة ، وعبادة ميسرة ، ومعاملات وأحكام وأخلاق ، لا حرج فيها ولا مشقة ، ودعا الإسلام إلى التيسير وعدم التعسير ، وإلى الرفق وعدم الحرج ، فالرحمة جوهر رسالته ، والوسطية عنوان دعوته ، وهي تعنى الاعتدال فى الأمور كلها دون إفراط أو تفريط .

وفى هذا الكتاب بيان لمنهج الوسطية فى الإسلام ، الذى يتسم بالتوازن والاعتدال ، دون غلو أو تشدد ، ودون تهاون أو تقصير ، وبحيث لا يطغى جانب على آخر .

ولست أريد بالوسطية ما يتبادر إلى بعض الأذهان من أن يكون الإنسان فى درجة متوسطة فلا يصل فى عبادته أو عمله إلى الدرجة العالية ، بل أقصد بالوسطية الطريقة المعتدلة التى تدل على الاعتدال والخيرية ، كما فى

قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (سورة القلم : ٢٨) ، أى : قال أعدلهم وأصلحهم .

وواضح أن المجتمعات البشرية فيها المغالون وفيها المفرطون ، أما المعتدلون فهم الذين لا يهملون ولا يقصرون ولا يغالون ولا يتشدّدون بل يتبعون منهج الإسلام الذى بُعثَ به رسول الله ﷺ رحمة للعالمين .

وبالله التوفيق ..

المؤلف

د . أحمد عمر هاشم

## وسطية الإسلام

### مفهوم الوسطية

يتحدد مفهوم الوسطية ، ببيان معناها اللغوى ، ومعناها الاصطلاحي ،  
فأما المعنى اللغوى : فوسط الشيء هو ما بين طرفيه .

وأما المعنى الاصطلاحي : فالمراد بالوسطية : التوازن والتعادل بين  
الطرفين بحيث لا يطنى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو  
ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل.

ولا نريد بالوسطية أن يكون الإنسان فى درجة المتوسط فى عبادته أو عمله  
أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعى أو الخلق بمعنى أنه  
لا يكون متقدماً ممتازاً فى هذه الأمور، بل نريد بالوسطية الأجود والأفضل،  
والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أى : أعدلها.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) أى : عدولاً خياراً.

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّطْنَاهُ بِهِ جَمْعًا ﴾ (٢) أى : تتوسط الصفوف فى

المعركة .

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٣).

(٢) سورة العاديات ، آية (٥).

وقال سبحانه : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (١)

وقال جل شأنه : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٢) أى :  
قال أعدلهم وأصلحهم .

وقد سبحانه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (٣) وأرجح  
الآراء : أنها صلاة العصر ، لقوله ﷺ : فى يوم الأحزاب « شغلونا عن الصلاة  
الوسطى صلاة العصر ملائكة الله قلوبهم وبيوتهم ناراً » (٤) .

**وسطية الأمة** : لقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها الأمة  
الوسطى .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ  
وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٥)

**والوسط** : الخيار والأجود ، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية  
فكانت خير الأمم ، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج

---

(١) سورة المائدة ، آية (٨٩) .

(٢) سورة القلم ، آية (٢٨) .

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٣٨) .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة البقرة ، آية (١٤٣) .

وأيسر التكليف وأوضحها، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١).

وفيما رواه الإمام أحمد - بسنده - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أئانا من نذير ، وما أئانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فذلك قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « والوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم » (٢).

وفيما رواه الإمام أحمد - بسنده - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ، فيقولون : لا ، فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم ، فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم ، فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله عز وجل :

(١) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٢) رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه ، من طريق الأعمش .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

والآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حوّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبله إبراهيم عليه السلام واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل .

وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهل المدينة اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، وكان قبلة إبراهيم، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى ، وينظر إلى السماء؛ فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وكان عليه الصلاة والسلام - قبل هجرته - قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس .

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٤) .

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى ، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ، ووافق رغبة رسول الله ﷺ ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت المقدس ثم شرع التحويل إلى الكعبة ، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه ، قال تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (١)

عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قُتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

### وسطية المكان :

والكعبة المشرفة - التى هى قبلة المسلمين - هى فى البقعة المباركة والمكان

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٣) .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٤٣) ، والحديث رواه البخارى .

الوسط، فهي في وسط الكوكب الأرضي، تتوسط دنيا الناس شرقاً وغرباً  
وشمالاً وجنوباً .

وهكذا اختار الله مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحي، هذا  
المكان الوسط، الذي يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة  
العامّة الخالدة، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع  
العالم.

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية، أن يكون المكان وسطاً في جغرافية  
الأرض، لتتمكن الدعوة أن تنتشر في ربوع الأرض، وتؤدي أمة الإسلام أمانة  
التبليغ التي حملها الله تعالى إياها، حيث نزل الوحي - قرآناً وسنة - بلسان  
عربي مبين، وفي أمة عربية، وفي مكان وسط من العالم، كل هذا يؤكد  
وجوب تبليغ الأمانة التي كلف الله تعالى هذه الأمة بها، وشرفها بإنزال  
الوحي على أرضها، وإرسال رسول من أنفسهم، وقيام القبلة - الكعبة  
المشرقة - في هذا المكان الطاهر والحرم الآمن في قلب العالم .

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحي الإلهي في البلد الحرام، والقبلة  
المشرقة داخل المسجد الحرام، فمكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية ووسط  
العالم بأسره.

وأن قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى



**الناس** ﴿﴾ يحدد لهذه الأمة دورها في النهوض بالبشرية ورسالتها في قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس.

وحين تتخلى عن هذه الرسالة، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريتها، ومن كونها الأمة الوسط، وفقدت كيانها المعنوي ودورها الريادي بين الأمم.

ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله والجهاد في سبيل الله حق جهاده، لأنه اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة، ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وقد سماهم الله المسلمين - من قبل - في الكتب المتقدمة، وفي هذا آى القرآن قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَالْعَمَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١﴾

(١) سورة الحج ، الآيتان ( ٧٧ ، ٧٨ ) .

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطاً عدولاً وخياراً، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه، ويشهد رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك .

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله تعالى لهذه الأمة، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها سبحانه وتعالى، وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ومن أهمها الصلاة والزكاة، وعليهم أن يعتصموا بالله وأن يعتضدوا به ويتوكلوا عليه ... ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١) .

\*\*\*

---

(١) سورة الحج ، آية (٧٨) .

## وسطية الزمان

لم تأت رسالة الإسلام فى أول تاريخ البشرية، ولا فى آخره بل جاءت فى الوسط، لتكون مصدقة ومهيمنة، وشاهدة وحارسة لما سبق من الكتب والشرائع، تقرر الحق، وتظهر خطأ ما حدث من تحريف، وأنزل الله تعالى القرآن الكريم بالحق مشتملاً على الصحيح الثابت الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١).

ولئن كانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع إلا أنها لم تكن فى آخر عمر الدنيا، فقد مكثت أكثر من أربعة عشر قرناً واقعة فى وسط الزمن، جردت الإنسانية من الأوهام والأباطيل، وكان عصرها خير العصور وأحسنها وأفضلها، حيث بلغت البشرية دور النضج والرشد العقلى.

فوسطية الزمان تتجلى فى طرح ما علق بالإنسانية من عهود قديمة ساد فيها قانون الغاب، وكانت الغلبة للأقوى، وتتجلى أيضاً فى القضاء على الخرافات والأوهام التى سادت قروناً عديدة.

---

(١) سورة المائدة ، آية (٤٨).

وعلى هذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس فى خير زمان،  
وأرسل إليها خير الرسل، وأنزل عليه أحسن الحديث وأعظم الكتب  
السماوية، على هذه الأمة أن تضطلع برسالتها التى ائتمتها السماء عليها  
حيث نزل الوحي الإلهى بلغتها وعلى أرضها، وأرسل إليها رسولاً من أنفسها  
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

\*\*\*

---

(١) سورة التوبة ، آية (١٢٨).

## وسطية العقيدة

وتعنى وسطية العقيدة أنها عقيدة خيرة، سمحة واضحة، مستقيمة عادلة، لا إكراه فيها، ولا تعقيد، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ويؤمن العباد فيها إيماناً لا تمثيل فيه ولا تعطيل، لأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وكما تتجلى وسطية العقيدة فى عدم التمثيل والتعطيل فى الصفات فإنها تتجلى أيضاً فى الإيمان بالقدر، فنرى أهل السنة لا يقولون إن الإنسان مجبور على عمله، ولا ينكرون القدر، وإنما وقف أهل السنة والجماعة الموقف الوسط، فيؤمنون بالقدر خيره وشره ولا ينفونه، وفى الوقت نفسه لا يقولون بأن الإنسان مجبور على كل أعماله مسلوب الإرادة.

إنهم يشبّهون أن الله تعالى خالق كل شئ ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمنون أيضاً بأن للعباد قدرة واختياراً، فيقفون موقفاً وسطاً بين الذين ينفون اختيار العبد، والذين ينفون القدر، فيؤمنون بأن الله على كل شئ قدير، وأنه لا يكون فى ملكه إلا ما يريد، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختياراً.

كما تتجلى وسطية العقيدة بعدم الإغراق والتوسع فى الإيمان بكل شئ

سواء أكان حقاً أو غير حق ، قام عليه دليل أو لم يقم ، وأيضاً بعدم الركون إلى الماديين الذين يقولون : الحياة مادة ، ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات والتي يدركونها بحواسهم ، فلا يؤمنون بالغيب ولا بما قامت الأدلة على وجوب الإيمان به ، وإنما يؤمنون بالغيب وبما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١).

وتتجلى وسطية العقيدة في الإيمان « بالملائكة » وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فلا ننزلهم عن مكانتهم ، كما فعل بعض المخالفين ممن حقّروهم وقالوا عنهم إنهم إناث ، ولا مغالاة في شأنهم كالذين عبدوهم وألّهُوهم ، فكلا الفريقين على خطأ ، وإنما هم عباد الله خلقهم لمهمة سامية وجعل لهم وظائف كلفهم بها منهم ملك الوحي ومنهم ملك الموت ومنهم حملة العرش ومنهم السّاحون في الأرض ومنهم الحفظة إلى آخر الوظائف التي خلّقوا لها .

وفي الإيمان بالرسول تتجلى الوسطية في عدم الغلو في الإيمان بهم ، كمن غالى حتى ألّهُهم ولا نفرط فنساويهم بسائر الناس ، بل إنهم معصومون ويوحى إليهم من ربهم ، فالذين قدسوا الأنبياء وعبدوهم ورفعوهم إلى مرتبة الألوهية على باطل ، والذين كذبوهم أو قتلوهم - كبعض الأمم السابقة -

(١) سورة البقرة : آية (٣) .

على باطل، فالأنبياء بشر ولكنهم يتميزون بالوحي الإلهي لهم وبعضهم...  
قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ  
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ  
فَلْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا  
عبد فقولوا عبد الله ورسوله ».

وجملة القول أن دعوة الإسلام إلى العقيدة الحقة التي نؤمن فيها بالله رباً  
وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، دعوة فيها التوجيه  
الإسلامي، وليس فيها الإكراه عليها، كما قال الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي  
الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢).

\*\*\*

---

(١) سورة إبراهيم : آية (١١).

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٦).

---



## الوسطية فى العبادة

من العبادات التى تتجلى فيها الوسطية : الصلاة، فليست كثيره شاقة ولا قليلة لا تترك أثراً، بل هى خمس صلوات فى اليوم والليلة، ولا تعارض بين أدائها وبين العمل فى الحياة، والسعى على الرزق، فالمسلم يعمل ويكدح، ويسعى، فإذا نودى للصلاة، أجاب ثم يعود إلى عمله . . وهكذا فهو يعمل لدنياه ويعمل لآخريته.

وفى يوم الجمعة يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

ولا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم ، وإنما حددها رب العزة سبحانه فى مواعيت معينة دون إفراط ولا تفريط، ولا مشقة فى أدائها ولا حرج :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢)

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الجمعة : الآيتان (٩ ، ١٠).

(٢) سورة البقرة : آية (٢٨٦).

(٣) سورة التغابن : آية (١٦).

وفى أداء الصلاة والقراءة فيها لا يجهر بها ولا يخافت، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

وإذا يؤدي صلاته بسرعة دون طمأنينة، ولا يطيل بالمصلين إذا كان إماماً إطالة تشق عليهم، بل عليه أن يؤدي صلاته بكامل أركانها مطمئناً بها خاشعاً لله وألا يطيل بالناس.

وعندما أطال معاذ في صلاته، وشكا منه بعض المسلمين قال له الرسول ﷺ : «أفتان أنت» (٢) قالها ثلاث مرات، ثم قال : «فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة».

وقد وجه الرسول ﷺ بعض الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم بعد أن سمعوا موعظته وجههم إلى الوسطية وعدم المغالاة :

عن أنس رضى الله عنه أن نفراً من أصحاب النبی ﷺ سألوا أزواج النبی ﷺ عن عمله فى السر، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم، وقال بعضهم : لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر

(١) سورة الإسراء ، آية (١١٠).

(٢) رواه البخارى ومسلم.

وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني « (١) .

وقد أمرنا الله تعالى أن نقتدى برسول الله ﷺ حيث قال :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

وهكذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه - وهو الأسوة الحسنة والنبى المعصوم المقتدى به - يحث على الوسطية وينهى عن المغالاة، والتشدد، وقد قال رب العزة سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « هلك المتطعون، هلك المتطعون » (٤) وهم المتعمقون الذين يتشددون فى غير موضع التشديد.

إن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها، حتى ولو كان ما يأتية الإنسان عملاً من أعمال العبادة، فالإسلام يدعو الإنسان إلى إعطاء جسده قسطاً من الراحة، ليستطيع القيام بأعماله وعباداته.

عن أبى ربيع حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : لقينى

---

(١) رواه مسلم ورواه البخارى بلفظ آخر قريب منه .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(٣) سورة البقرة ، آية (١٩٥) .

(٤) رواه مسلم .

أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضييعات ( أى : مارسنا ولأعينا ) نسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك (عاسفنا) الأزواج والأولاد والضييعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة ، ساعة وساعة » (١) .

تلك هى رحمة الإنسان شرعها الإسلام وجعل تعالىمه تنادى إليها وتحرص عليها .

وكما نلاحظ الوسطية فى الصلاة نلاحظها أيضاً فى الزكاة فلم تُفرض فى كل وقت ، ولكن : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (٢) ، وعند بلوغ النصاب وفى التقدين بعد مرور حول ، وإذا كان الجهد المبذول أكثر كان ما يدفع أقل ،

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الأنعام ، آية (١٤١) .

وإذا كان الجهد أقل كان ما يدفع أكثر فما سُقى من الزروع والثمار بماء السماء أو بدون آلة أو تعب ففيه العشر، وما كان بتعب أو آلة ففيه نصف العشر، وما كان فيه تعب أكثر وجهد أكثر ففيه ربع العشر كزكاة النقدين وعروض التجارة، وما جاء بلا تعب كالركاز ففيه الخمس .

وإذا نظرنا إلى الصيام وجدنا أنه يرخص بالفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وعليهم القضاء بعد ذلك، وأن الحج إنما يجب مرة واحدة في العمر كله وهو على المستطيع .

وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج، قال تعالى :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الله سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

كما قال الله سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٣) سورة البقرة ، آية ( ٢٨٦ ) .



## وسطية الأخلاق

وإذا نظرنا إلى الأخلاق فى الإسلام وجدناها وسطاً بين طرفين، كل طرف يعتبر رذيلة فالكرم وسط بين التبذير والبخل، والشجاعة وسط بين التهور والجن، والعزة وسط بين الكبر والذلة.

وجاء الإسلام يؤكد على الوسطية بتجنب التشدد والتساهل، وأن يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبداً، وأن يعمل لآخريته كأنه يموت غداً.

وعلى الإنسان أن يعمل على تزكية نفسه من الانحراف أو المغالاة

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾

وأمر الإسلام والمسلمين أن يتمتعوا بالطيبات وألا يحرّموا أنفسهم وفى الوقت نفسه ألا يسرفوا، قال سبحانه:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٣٢)﴾

(١) سورة الشمس، الآيات (٧ - ١٠).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان (٣١، ٣٢).

ووجه الإسلام إلى الأخذ بما فى الدنيا من الحلال مبتغياً فيها الدار الآخرة  
فقال سبحانه :

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ  
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)

\*\*\*

---

(١) سورة القصص، آية (٧٧).



## المسئولية

### بين الفرد والمجتمع

كل إنسان مسئول عما يفعل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَوْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٢).

ومع هذا فإن هناك مسئولية جماعية حين يقف الرأى العام من مقاومة منكر أو الدفاع عن حق، فيكون له أكبر الأثر فى مقاومته .

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً» (٣).

---

(١) سورة المدثر ، آية (٣٨).

(٢) سورة الإسراء، آية (١٥).

(٣) رواه البخارى .

---

## الاعتدال

### بين المادية والروحانية

الإسلام هو دين اليسر والسماحة، تضمنت تعاليمه القويمة ومبادئه السمحة ما فيه سعادة الناس دنيا وأخرى، وهو دين ينظم العلاقات القائمة بين البدن والنفس، أو بين متطلبات الجسد وبين أشواق الروح فى الإنسان. ففى كل إنسان جانبان : أحدهما مادى يتطلب الطعام والشراب والملبس والسكن والزواج، وما إلى ذلك مما جرت عليه سنة الحياة. والجانب الآخر : روحىٌ يتطلب صقل النفس وتهذيب الروح، والاتجاه إلى الله يهذب النفس وينقيها ويصل بها إلى مرتبة التقوى، كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

وغير ذلك من العبادات التى شرعها الإسلام، وغير ذلك من الطيبات التى أباحها الإسلام للإنسان حتى يتواءم نظام البدن والروح ولا يحدث بينهما تفرقة أو انفصال.

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٣).

والغلو فى أحد الجانبين خروج عن سواء السبيل ، والتقصير فى أحد الجانبين تضييع لحقوق يجب أن تراعى ، وإهمال لأوامر لها أهميتها ومنزلتها .  
ومن هنا كان نداء الإسلام معتدلاً وقائماً على أساس تنظيم العلاقة بين البدن والروح ، وإذا استقام الأمر وانتظمت الحال انتظمت العلاقات الأخرى ، وأخذ الإنسان طريقه إلى ربه سبحانه وتعالى فى اعتدال لا عوج فيه وفى انتظام لا غلو فيه ولا تقصير .

فلا رهبانية فى الإسلام ، ولا عسر ، ولا حرج ، ولكنها التشريعات الصحيحة التى أبطلت ما كان عليه بعضهم من رهبانية وما حاوله بعضهم من عزل الدين عن الحياة ، وإذا عزل الدين عن الحياة ضلت طريقها وتخبطت فى شكوك وأوهام .

فالدين بمبادئه ونظمه ، بتعاليمه وقيمه يضىء للحياة طريقها ويبعث فى جوانبها التفاؤل والأمل ويجعلها موصولة بالخير الدائم الذى لا ينقطع ، وبالفعل المستمر الذى لا يتوقف .

وعن تلك الرهبانية التى لم يرعها أهلها تحدث القرآن الكريم ، فقال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا

ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾

وفى السنة الشريفة تحذير من تلك الرهبانية وترغيب فى إعطاء الجسم حقه من الراحة ومن طيبات الحياة.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نفراً من أصحاب النبی ﷺ سألوا أزواج النبی ﷺ عن عمله فى السر، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢).

وقال الله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٣).

وقد وجّه القرآن الكريم أنظار المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها لعب ولهو وزينة، والناس فيها متفاخرون ومتكاثرون، ولكن نهايتها إلى زوال وآخرتها إلى فناء، فلا بقاء لها ولا خلود فيها وكل ما عليها

(١) سورة الحديد، آية (٢٧).

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة القصص، آية (٧٧).

عرض زائل، فليس لإنسان أن يتكالب عليها أو أن يتزاحم على حطامها ويتقاتل على بريقها، وإنما اللائق بالإنسان أن يكبح جماح نفسه فيعمل لآخرته، وليس معنى هذا أن يهجر دنياه أو أن يتركها ويهملها؟ لا، وإنما يوفق بين دار العمل والتكليف، وبين ما تتطلبه دار الجزاء، الدار الأخرى التى هى خير وأبقى، يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١).

وحين يقصر الناس اتجاههم فى الحياة على طلب المال والولد والمنصب فإنهم حينئذ يتجهون اتجاهاً مادياً بحتاً . . والإسلام لا يحرم التمتع بالطيبات، وينادى بعمارة الحياة بالمال والولد ولكن على شرط أن تكون قائمة على أساس من الفضائل والمثل التى نادى بها الإسلام، فهو ينادى بأن تشرق بالإيثار والبذل، بالتضحية والإخلاص، بالتعاون والتساند على البر والتقوى .

قال الله تعالى :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

(١) سورة الحديد، آية (٢٠).

وَحَيْرَ أَمَلًا ﴿١﴾

وبين الله سبحانه وتعالى أنه لم يحرم زينة الله التي أخرجها لعباده، ولا الطيبات من الرزق، فقال جل شأنه:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢)

وأما محاربة الإسلام للمادية الطاغية البحتة فذلك لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية، وأصبح هؤلاء الماديون المغالون يمثلون نشاطاً جامداً خالياً من الروح والمعنى بعيداً عن المبادئ السامية، بل حرباً على المعاني الإنسانية وعلى الفضائل الكريمة.

إن هؤلاء الماديين قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويزعمون أنهم يفعلون فعلاً حسناً ويقومون بإصلاح الحياة، لقد انطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى :

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٣)

وأما السائرون على منهج الإسلام في اعتداله بين الطرفين بدون إفراط أو

---

(١) سورة الكهف ، آية (٤٦).

(٢) سورة الأعراف ، آية (٣٢).

(٣) سورة الكهف ، آية (١٠٤).

تفريط، ومن غير غلو ولا تقصير، فإن الله سبحانه وتعالى يزيدهم هدى على هداهم. قال سبحانه :

﴿وَيَزِدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (١).

تلك حقيقة قرآنية لا يرتاب فيها امرؤ ومعه عقله، فالمهتدون السائرون على الحياة الذين يزيدهم الله هدى وبهم يشرق المجتمع الإسلامى بالمعاني النبيلة السافضة ، والذين لا تشدهم الحياة الدنيا ولا تجذبهم بزخارفها هم الذين فطنوا لدورهم فى الحياة ومهمتهم السامية فى المجتمع الإنسانى، ومن أجل ذلك هم حريصون على أن يتمثلوا مبادئ الحق، وأن يرتادوا سبل الخير والإصلاح، وهم بهذا كله جديرون لأن يكف الله تعالى لهم فى الأرض.

وقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة لركائز التمكين فى الأرض وهى تقوم على المبادئ الآتية :

أولاً : توثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى، بالقيام بأداء أوامره واجتناب نواهيه، والإعلان عن ذلك إنما يتمثل فى القيام بالصلاة التى هى عنوان الطاعة لله سبحانه وتعالى، فالصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فتد هدم الدين، وهى تكف صاحبها عن الفحشاء والمنكر، كما

---

(١) سورة مريم ، آية (٧٦).



قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وهى الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه الكبير المتعال .

ثانياً : ربط الصلة بالمجتمع ونشر وسائل التكافل الاجتماعى تأكيداً وتنمية للعلاقات الإنسانية الفاضلة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وعلى قمة هذه العلاقات أداء الزكاة .

ثالثاً : المهمة الكبرى التى تتطلب الغيرة من كل مسلم على دينه ودعوة الغير إلى الرشد والخير بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل على نشر فضائل الإسلام ومبادئه عن طريق الدعوة إلى الله أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .  
قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزُّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

إن ركائز التمكين فى الأرض تعنى القيام بواجب الإنسان المسلم تجاه خالقه سبحانه وتعالى وتجاه نفسه، وتجاه المجتمع الذى يعيش فيه .

كما يجب على كل مسلم أن يدرك أهمية الوقوف عند معالم الحق والخير بحيث لا يميل ولا يحيد ولا ينحرف يمناً أو يسرة، والوقوف فى مواجهة

(١) سورة العنكبوت ، آية (٤٥) .

(٢) سورة الحج ، آية (٤١) .

التيارات المادية الجارفة التي تشكلت بأشكال مختلفة وتسمت بأسماء متباينة متخذة بعض المذاهب الفاسدة مجرى لها أو بعض النظريات الوافدة مذهباً وطريقاً، وفي هذا تضييع للقيم وحرب للإسلام .

ومقاومة هذه التيارات الوافدة - من شيوعية وقاديانية وبهائية وغير ذلك من المذاهب الهدامة - من أهم ركائز التمكين في الأرض لأنه باب واسع من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله سبحانه وتعالى من أهم دعائم خيرية هذه الأمة في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (٢).

#### رد بعض الشبهات :

وقد أثار أعداء الإسلام وخصومه بعض الشبهات يحاولون بها أن يتهموا الإسلام بأنه يعادى الناحية الروحية، وهى - بدون شك - شبهة واهية لا أساس لها من الصحة، فإن التشريع الإسلامى جاء وافياً بحاجات البدن

(١) سورة آل عمران ، آية (١١٠) .

(٢) رواه مسلم .

والروح، وبتنظيم الجانبين والاعتدال فيهما بلا إفراط أو تفريط، فقد وجه القرآن الكريم جميع المسلمين إلى مراعاة مطالب الدنيا والآخرة حتى في دعائهم فقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠١) ﴾<sup>(١)</sup>

ونهى القرآن الكريم عن تحريم الطيبات حفاظاً على جانب الاعتدال بين المادة والروح كما حرم الاعتداء ومجاوزة الحد في ذلك، بل على الإنسان أن يأكل مما رزقه الله من الحلال الطيب على أساس من التقوى والإيمان وفي ضوءهما.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

ويركز الإسلام على توجيهه للمسلمين محذراً لهم أن تغرهم الحياة الدنيا

(١) سورة البقرة ، الآيات ( ٢٠٠ - ٢٠٢ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ( ٨٧ ، ٨٨ ) .

بمادية بها ومباهجها، وأن الأموال والأولاد فتنة وعند الله عظيم الأجر  
للمخلصين فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ  
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ  
اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ  
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢).

وقد وضح الإسلام أهمية طلب الآخرة وضرورة العمل لها ، فمن كانت  
الآخرة همه، وعمل لها جمع الله له ما يريد، وجعله غنى النفس بالإيمان  
وتأتيه الدنيا منقاداً راغمة.

وأما الذى ينكب على المادة يجمعها ويجعل الدنيا همه فإن الله يجعل  
الفقر بين عينيه ، ومهما واصل التعب والكد فى سبيلها فإنه لا ينال منها إلا  
ما قدره الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الأنفال ، آية (٢٨).

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان (١٤ ، ١٥).

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة » (١) .

وحياة السلف حافلة بالإيثار والبذل والتضحية والمعروف حتى وإن ترتب على ذلك بذل كل ما يمتلكون .

نعم، الإسلام دعا بالتوسط كما سبق . . قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٢) .

ولكن سلفنا الصالح فى نظرتهم الإيمانية الفاحصة يدركون قيمة ميراث الأبناء من بعد . . وخطورة المادة حين يقوى جانبها ويشتد وحين يمسك الأبناء بها وينحرفون بسببها .

فمن الناس من يورث أبناءه أموالاً طائلة وعقارات وفيرة ظناً منه أنه حين يفارق الحياة يفارقها وهو مطمئن عليهم من الفقر، وينسى أن الفقر من الإيمان هو أشد المخاوف، ومن الناس من يورث أبناءه إيماناً صادقاً وعملاً صالحاً وسلوكاً قويمًا ولم يترك لهم من المال شيئاً؛ فإذا بثروة الإيمان والعمل الصالح تجعلهم أغنياء فى الدنيا وفى الآخرة .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٢٩) .

ها هو ذا نموذج من السلف الصالح إنه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، لقد قال له مسلمة بن عبد الله عند مرض موته : يا عمر لقد تركت أولئك لا شىء عندهم فيصبحون فقراء وما كان هذا يصح منك يا عمر، فرد عليه قائلاً : « والله ما منعتهم حقاً هو لهم، فبنى أحد رجلين : إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له من كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية الله».

إن الإسلام دعوة إلهية لسعادة البشر دنيا وأخرى، وفي قوانينه الرشيدة أمان للنفس والمال والعرض، وفي ظل تعاليمه السمحة المضيئة تشرق حياة الناس بالخير والرشد والحق والسعادة ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

\*\*\*

## إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً

### — بين سلمان وأبى الدرداء —

قال الإمام البخارى - رحمه الله - : حدثنا محمد بن بشار حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له : كل، قال : فإنى صائم، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل، قال : فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال : نم ، فنام ثم ذهب يقوم فقال : نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن ، فصليا، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذى حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ : صدق سلمان .

فى هذه القصة عدة دلالات، على سماحة الإسلام، وعلى دقة التشريع السماوى ، حيث كفل الحقوق التى يجب أن يراعيها الإنسان المسلم، فهناك حق الله تعالى يجب على الإنسان أن يؤديه ، وهناك حق للأهل على الإنسان يجب أن يقوم به ، وهناك حق للنفس على صاحبها يجب أن يتنبه إليه، وأن

يعطى كل ذى حق حقه، بحيث لا يشغله جانب على آخر، وبحيث لا يقصر  
فى حق على حساب الآخر.

ولقد بدأت هذه القصة ببيان صورة من صور المؤاخاة التى عقدها رسول  
الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر أصحاب المغازى أن المؤاخاة بين  
الصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قد وقعت مرتين : الأولى قبل  
الهجرة بين المهاجرين خاصة على المواساة والمناصرة، فكان من ذلك أخوة زيد  
ابن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب، ثم آخى النبي ﷺ بين المهاجرين  
والأنصار بعد أن هاجر، وذلك بعد قدومه المدينة . .

وهذا نموذج لأخوين ممن آخى بينهم رسول الله ﷺ، وهما سلمان  
وأبو الدرداء، لقد ربط الإسلام بينهما برباط وثيق، فكانا يتناصحان على  
الخير، ويوجه أحدهما صاحبه إلى طريق الإسلام وهده، وإلى ما ينبغى أن  
يكون عليه الإنسان المسلم من أداء حق ربه سبحانه وتعالى، وأداء حق نفسه  
وحق أهله . . ولقد زار سلمان أبا الدرداء فوجد امرأته رثة الهيئة، متبذلة،  
تلبس ثياب المهنة، تاركة للبس ثياب الزينة.

فقال لها : ما شأنك؟ وفى رواية الترمذى : يا أم الدرداء أمتبذلة ؟  
فأجابته قائلة : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، وذلك لأنه يجهد  
نفسه فى العبادة، ويعزف عن طيبات الحياة، وعن التمتع بزينتها الحلال ،  
ويعزف عن النساء.



ولما جاء أبو الدرداء، وصنع لسلمان الطعام، وقدمه إليه ليأكل، قال له سلمان: كل، فقال أبو الدرداء: إني صائم، وأبى سلمان - وهو الضيف - أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه، وهدفه من وراء ذلك أن يصرفه عن رأيه وخطته التي يسير عليها فيما يصنعه من إجهاد نفسه في العبادة، وفي غير ذلك مما شكته إليه امرأته، لقد قال سلمان له: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، وهذه ناحية من النواحي التي كان يلزم بها نفسه، وذلك بالصيام.

وهنا ناحية أخرى: وهي قيام الليل، إنه كان يأخذ بالقيام ولا يعطى جسده قسطاً من الراحة، ولا يعطى نفسه حقها في النوم، ولا يعطى أهله كذلك، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، وبهذا التصرف العملي أراد سلمان توجيهه إلى ما ينبغي أن يتبعه من حق الله وحق نفسه وحق أهله، وعندئذ واجهه بالحقيقة وأرشده إلى ما يحسن اتباعه قائلاً له: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

إن مقاييس التقوى والخوف من الله، ليست بأن يكلف العبد نفسه ما لا طاقة لها به، وليست في الانهماك في العبادة فقد يورث هذا عدم الاستمرار أو التقصير في الحقوق الأخرى ويقطع على الإنسان مواصلة السير في الطاعة، ولكن مقياس الخشية والطاعة في المداومة، وفي الإقبال على

العبادة بمحبة ورغبة، وتذوق لحلاوة الإيمان، ولما ذكر أبو الدرداء ذلك لرسول الله ﷺ قال له : صدق سلمان ..

وفى رواية الترمذى وابن خزيمة : « ولضيفك عليك حقاً » وعند الدارقطنى : « فصم وأفطر ، وصل ونم ، واثت أهلك » .

إن الإسلام دين اليسر فلا عسر فيه ، دين الرحمة فلا حرج معه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفيما رواه الإمام مسلم - بسنده - عن أنس أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله فى السر؛ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن ستى فليس منى » ..

وهكذا أوضح الصحابى الجليل سلمان لأخيه المنهج الأمثل ، والذى كان من أبى الدرداء إنما هو اجتهاد من نفسه وقد اتبع ما أشار به سلمان وما أقره عليه الرسول ﷺ ، وإن لهما مكاتهما التى وضحاها الحديث الذى رواه

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٨) .

مسلم عندما أتاهما أبو سفيان وهو كافر قبل الإسلام فى الهدنة بعد صلح الحديبية أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال : فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : « يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك » فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخى .

- ونستنبط من هذه القصة أهمية النصيحة للمسلمين وفضل قيام آخر الليل ، ومشروعية تزين المرأة لزوجها ، وجواز النهى عن الأمور المستحبة إذا خيف منها الإفضاء إلى السامة والملل وتفويت الحقوق الواجبة ، وجواز الفطر من صوم التطوع ، وكراهية الحمل على النفس فى العبادة ، قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٦) .

---

## استقلال الشخصية

وتتجلى وسطية الإسلام في استقلال شخصية المسلم، بحيث لا تذوب شخصيته في الجماعة، وبحيث لا يكون انعزالياً، ولهذا كان من الملامح البارزة في حياة الإنسان المسلم استقلال شخصيته، فهو يعتنق الحق ويسير على ضوئه، ويعمل في دائرته، دون أن يكون هناك أى تأثير خارجي عليه، لأنه يؤمن بأن جزاءه منوط بعمله، فإحسانه لنفسه، وإساءته لها، وقد غرس الإسلام في نفسه أصول الحق ليتبعها ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (١)

وأنا القرآن الكريم الطريق أمام المسلم، مبيناً له أنه وحده الذى ينال مثوبة هدايته، وأنه وحده الذى ينال جزاء ضلالاته، فلا ينجى اهتداؤه غيره، ولا يردى ضلاله سواه، وكل نفس وما حملت من وزرها، فلا تحمل وزر نفس أخرى، فلكل استقلاله وجزاؤه على حدة، قال سبحانه:

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٢).

---

(١) سورة الإسراء، آية (٧).

(٢) سورة الإسراء، آية (١٥).

وقد نعى القرآن على أولئك الذين وقعوا أسرى العادة والإلف تحافهم عن الحق، وضرب مثلهم بمن ينادى على حيوان يسمع الصوت ولا يفهم له معنى، فهم فى انهماكهم فى التقليد الأعمى، ووقعهم فريسة التبعية البلهاء كمثّل الصم والبكم، قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١).

وهذا الصنف من الناس لم يعط شخصيته استقلالها، ولم يمنحها حريتها فى البحث عن الحق، وإنما حبسها بين أسوار التقاليد الموروثة، توبقها العادات البالية، وقاتتها كرامتها وإنسانيتها.

وتتابع السنة الشريفة شخصية المسلم فى سلوكها بالتقويم والتهديب، لئلا تتأرجح بين مد الحياة وجزرها، فتتدهور قواها المعنوية، متابعة كل ناعق، ومنادية كل إنسان : أنا معك - محسناً كان أو ظالماً :-

روى الإمام الترمذى بسنده عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (٢).

(١) سورة البقرة، الآيةان (١٧٠ ، ١٧١).

(٢) رواه الترمذى.

فإذا كان الله تعالى قد أعد المسلم إعداداً محكماً، وهياًه لأسباب الحق والفلاح، مما ألهمه من رؤية واضحة للخير حتى يتبعه، وللشر حتى ينأى عنه، فليس للمسلم أن يكون إمعة، ولم تعد له حجة في تعطيل ما أودعه الله في حسه ووجدانه، فكيف به يقف على مفترق الطرق، يميل مع رياح الحياة حيث تميل، لقد سوى الحق نفسه وألهمها فجورها وتقواها، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١).

وفي استقلال الشخصية حماية لمقومات الحق والخير التي أودعها الله في الإنسان، فلا يتأثر بالعوامل الخارجية والمؤثرات المحيطة به، فإذا كان قاضياً أو شاهداً أو مدرساً أو قائماً بالإصلاح بين الناس، أو مقوماً لأعمال البعض، أو ما إلى ذلك من مسالك الحياة التي يرتادها، فإن عليه أن ينظر إلى الحق بغض النظر عن أى عامل آخر، أو أى مؤثر خارجي، فإذا قام بالحكم بين الناس أو القضاء فيهم، أو طلب منه أداء شهادة، أو فصل في خصومة، فعليه أن يتحرى جانب الحق، فلا تؤثر عليه صلة قرابة أو نسب أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (٢).

(١) سورة الشمس، الآيات (٧ - ١٠).

(٢) سورة الأنعام، آية (١٥٢).

وكما دعا الإسلام إلى المحافظة على استقلال الشخصية في قول العدل  
دون التأثير بصلة القرابة أو ما يدعو إلى الانحياز، فكذلك حذر من أن تكون  
الكراهية والبغضاء من دواعي الانحراف عن العدل والحق، فقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ  
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ وَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

فشخصية المسلم تتنافى مع الظلم، فيقيم العدل ولو على نفسه أو أقرب  
الناس إليه ، وتتنافى مع الباطل فيقول الحق ولو على نفسه، ويعدل مع العدو  
كما يعدل مع القريب والحبيب ، فهو لا تحكمه تبعية تهدم شخصيته ،  
ولا يجوز على عقيدته الهوى، ولا تتسرب المحاباة إلى داخله ، يحيا بين  
الناس قواماً بالقسط شاهداً لله، ولو على نفسه أو والديه أو أقربائه، قال الله  
تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ  
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ  
تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٢)

(١) سورة المائدة ، آية (٨).

(٢) سورة النساء، آية (١٣٥).



واستقلال الشخصية الذى يربى الإسلام أتباعه عليه، يعنى المحافظة على النفس من التأثير بخصائص الغير وأفعاله التى لا تتفق مع روح الإسلام، وتتنافى مع فضائله، أما الاستبداد بالرأى، أو التمسدى فى الخطأ، فليس فيه من قوة الشخصية واستقلالها أدنى علاقة، بل إن ذلك يتنافى معها تنافياً تاماً، فإن الرجوع للحق فضيلة، ولا يوصف من يرجع للحق بأنه لا شخصية له، بل إنه قوى الشخصية فى ضبط النفس، وكبح جماحها، والاتجاه بها صوب الحق، فلا يتجمد عند الخطأ، بل يفىء إلى الصواب أينما كان.

وكما أن استقلال الشخصية لا يتنافى مع الرجوع للحق، فإنه - كذلك - لا يتنافى مع التعاون، ومشاركة الجماعة الإسلامية، فالمراد باستقلال الشخصية ألا يذوب سلوك الفرد فى سلوك آخر، وألا تذوب الجماعة فى جماعة أخرى، فلكل إنسان مقوماته وقدراته الخاصة، وحين يسلب هذه المقومات فلا تكون له حريته ورغبته المستقيمة المخلصة، فإنه يقوم حين يقوم للعمل وهو مسوق إليه، ومكره عليه، فلا يستشعر المتعة بأداء العمل، ولا يتذوق الرغبة الدافعة إلى إتقانه، ومن ثم يفقد روح النشاط والحيوية ولا يقبل على العمل بجد وفاعلية، بل يؤدي عمله وهو مكره متبرم، وأيضاً لو ترك الإنسان بلا توجيه سديد، وأطلق لشخصيته العنان دون رعاية وضبط ومن غير حدود، فإن ذلك شر مستطير، لما يترتب على سلوكه بلا مقاييس ما يترتب من انطلاق نوازعه النفسية، فتتمو الأناية والأثرة ويتجاوز الحدود بلا رادع أو ضابط.

ومن أجل هذا كله أرسى القرآن للشخصية الإسلامية معالم محددة لا تتعداها، بحيث يجد المسلم ثواب عمله الصالح، ويتحمل تبعه إساءته، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾<sup>(١)</sup> هذا بالنسبة للفرد، فشخصيته محوطة بدائرة الحق، والعمل الصالح .

وأما بالنسبة لعلاقته مع الجماعة الإسلامية وعلاقة الناس مع بعضهم، فإن تلك العلاقات مع ما وفره الإسلام لها من الاحتفاظ بالمقومات، بحيث لا تذوب في الآخرين فإنه لا يمنع الإنسان أو الجماعة من التعاون والمشاركة، بل أمر بذلك إذكاء لروح التعاون، وإبقاء لوحدة الأمة، وإثراء لها بالعمل المشترك والتضافر المثمر، وذلك كله يتم في إطار البر والتقوى، وبعيداً عن الإثم والعدوان كما قال الله سبحانه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويتضح مما سبق أن استقلال الشخصية يعنى الاحتفاظ - للإنسان - بقدراته ومقوماته الخاصة بحيث لا يعتدى عليها من الخارج، والاحتفاظ بالثقة بالنفس حين يكون على الحق، فيحترم اقتناعه به ويقوى على ضبط نفسه وتوجيهها إلى الخير حين لا يكون في جانبه فيرجع للحق، ويلبى نداء التعاون مع

---

(١) سورة فصلت: آية (٤٦) .

(٢) سورة المائدة، آية (٢) .

الجماعة حين يحتاجون إليه، ولا يعتبر هذا أو ذاك خروجاً عن استقلال الشخصية، وإنما الخروج أن يكون إمعة بين الناس، مشئت الرأي، متطفلاً على أحاديث الناس وأخبارهم ورحم الله الشافعى حيث قال :  
« ولست بإمعة فى الرجال أسائل هذا وذاك : ما الخبر ؟ » .

\*\*\*

---

## عزة فى غير تكبر

وفى تحلّى المسلم بسمّة العزة وسطاً بين الذلة والتكبر، فلا يذل نفسه لأحد، ولا يتكبر على أحد، فمن ملامح شخصية المسلم العزة فى غير تكبر، فالمسلم لا يذل ولا يستكين لأحد، وعزته هذه تتنافى - من أول وهلة - مع الغرور والاستعلاء، وليس فيها من التكبر أدنى خيط، لأن الإسلام ما نادى بالعزة إلا ليحطم صلف الذين يلبسون ثوب الكبرياء، فلا يجعل لهم سطوة على الضعفاء، ولا هضمًا لحقوق البسطاء الكادحين .

وكما قاوم الإسلام الذلة والهوان، فقد ناهض الكبرياء، ونادى بالتواضع، فليس لأحد أن يتكبر، لأن الكبرياء لله وحده : ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

وفى الحديث القدسى، يقول الله عز وجل : « العز إزارى، والكبرياء ردائى، فمن نازعنى واحداً منهما فقد عذبتة » (٢).

والمسلم حين يكون عزيزاً فى نفسه، لا يذل نفسه ولا يستذل أحداً، كريماً فى شخصيته فيرفع من قدر نفسه ولا يحتقر الآخرين، معنياً بمظهره ومخبره،

---

(١) سورة الجاثية، آية (٣٧) .

(٢) رواه مسلم .

لا يداخله مثقال ذرة من كبر، لأن الرسول ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ فقال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - أى : رده - وغمط الناس » <sup>(١)</sup> . أى : احتقارهم .

وقد بين القرآن الكريم لمن تكون العزة ؟ فى قول الله سبحانه :  
﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ووجه الله تعالى عباده إلى طلبها، موضحاً أن طلبها لا يكون من مخلوق مهما كان مركزه أو جاهه، وإنما تطلب العزة من الخالق العظيم، وطريقها الإيمان والعمل، قال تعالى :  
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

فالقرآن يحدد - فى هديه الواضح - طريق العزة بالإيمان والعمل ، توحيداً لله تعالى ، فلا يسأل الإنسان إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، فالعمل الصالح المقبول يمثل طريق العزة بالنسبة للمؤمنين ، وأما المشركون فيطلبون العزة الزائفة التى لا أساس لها من معبوداتهم التى لا تنفع ولا تضر، قال تعالى :

(١) رواه مسلم

(٢) سورة المنافقون ، آية (٨) .

(٣) سورة فاطر ، آية (١٠) .

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ (١) .

كما ندد القرآن ببعض من آمن بلسانه ، فراح ينشد العزة عند غير المؤمنين فقال :

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَفَعُونَ عَلَيْهِمُ الْعِزَّةَ ﴾ (٢) .

وإذا كان للعزة أثرها فى حياة المسلم حيث يكون قوياً بالله ، لا تذلل شخصيته لإنسان ، فإن للعزة أثراً عظيماً فى الآخرة ، يظهر فى المثوبة الحسنة ، والجنة العالية ، والمكانة العزيزة السامية ، التى لا يغشى وجوه المؤمنين فيها غبرة ولا هوان ، كما قال سبحانه :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة مريم ، آية (٨١) .

(٢) سورة النساء ، آية (١٣٩) .

(٣) سورة يونس ، الآيتان (٢٦ ، ٢٧) .

وكما أن الطريق إلى العزة إيمان وعمل، فإن فقدانهما، أو فقدان واحد منهما، يوقع صاحبه في المذلة والهوان، فغير المؤمن، وغير الطائع العامل، يخشى على حياته، ويخاف من الموت، ويتردد في طلب النصره ممن لا يملكها من الناس، ويخاف على رزقه ويتنكب السبيل في الوصول إليه فينزلق في المهانة، ويريق ماء وجهه، لأنه فقد مقومات العزة الحقيقية من الإيمان والعمل.

ويرد القرآن على هذين الصنفين من طلاب النصره أو الحياة وطلاب الرزق دون إيمان أو عمل، فيقول سبحانه :

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ (٢٠) ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (٢١).

وتنادى السنة الشريفة جميع المسلمين - عندما يطلبون حوائجهم - أن يطلبوها بأنفس عزيزة، فإن الأمور تسير على حسب ما قدره الله، قال رسول الله ﷺ : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير » (٢).

أما الذى يذل نفسه - عن طوعية واختيار - فقد حاد عن منهج الحق، وند

---

(١) سورة الملك الآيتان (٢٠ ، ٢١).

(٢) ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وفوائد تمام .



عن دائرة العزة وحظيرة الإسلام، قال صلوات الله وسلامه عليه : « لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه، يتعرض للبلاء لما لا يطيق » (١).

ومن أبرز معانى العزة - فى شخصية المسلم - غنى النفس، والعفة عن الدنيا، قال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ».

فالمسلم سيد نفسه، يكبح جماحها، ويسيطر على هواها، فلا تحيد عن الحق، ولا تطمع فى الباطل، وتملى عليه شخصيته المعتدلة أن يتعفف عن السؤال ومد اليد، فاليد العليا خير من اليد السفلى، وأن يتعفف الموظف عن الوساطة فى وظيفته فالكفاءة هى الميزان الحقيقى، ويتنزه صاحب العمل عن الرشوة، والتلميذ عن الإهمال والغش، والتاجر عن الجشع والخداع، والعامل عن الكسل والاستهتار، وبالجمله : تتعفف البيئه الإسلامية فى شخصيتها المستقيمة عن أكل المال بالباطل، استجابة لنداء الحق:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢).

وقد أرسى الإسلام قاعدة التكريم والعزة فى قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

(٢) سورة النساء، آية (٢٩).

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾

ومن تكريم الله للإنسان ما يتصل بخلقته ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٢)

وقال سبحانه - مبيناً تكريمه للإنسان ، وتكوينه في أحسن صورة - :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٨) ﴿٣﴾

إن عزة المسلم وكرامته، تدعوه ليعيش في دنيا الناس برسالة يحملها، وقيمة من القيم السامية يبثها في الوجود، وغاية من الغايات الشريفة يطمح إليها، وهو في حمل رسالته ونشر قيمه وسعيه وراء غاياته، ينعم بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وهدوء البال، فيغمر الرضا جوانحه، ويعمر الحب وجدانه وأقطار نفسه، وتسرى العزة في دمه وكل حناياه . .

هكذا يعيش المسلم حياته، وتتجاوب مع دنيا الناس أصداء نفسه، إنه صاحب رسالة، وناشد قيم، وساع إلى غايات لا كأولئك الذين يعيشون وكل همهم ملء بطونهم وإشباع شهواتهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، لا أثر لهم في الحياة ولا وزن لهم في المجتمع الإنساني .

(١) سورة الإسراء، آية (٧٠).

(٢) سورة التين ، آية (٤).

(٣) سورة الانفطار، الآيات (٦ - ٨).

لقد انهارت موازين شخصيتهم، فلا يرون لأنفسهم مكاناً في قافلة الحياة ولا يعرفون لأنفسهم قدرها، ولا يبصرون حكمة الله فيهم، وداؤهم منهم وما يشعرون ، لقد صدق فيهم قول الشاعر :

وداؤك فيك وما تبصر      وداؤك منك وما تشعر  
وتزعم أنك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا وليبيت والمدرسة والمجتمع أثر بالغ في تكوين الشخصية، وغرس مبادئ العزة والإباء، ومعانى الشهامة والنبيل والشمم، حتى يشب الأبناء ومعهم من القيم أرفعها، ومن المبادئ أسماها، ومن الغايات أشرفها، وبهذا ترقى الشخصية الإسلامية وتأخذ دورها في الحياة متطلعة إلى معالى الأمور، متخذة أفضل الوسائل وأعلاها، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها »، وقال ﷺ : « إن الله يحب معالى الأمور وإشرافها.. » .

\*\*\*

---

## الإنفاق فى غير إسراف

### أو تقتير

كما تتجلى الوسطية فى المعاملات المالية، وفى إنفاق المال بصفة خاصة فلا يسرف ولا يقتّر، وللمسلم شخصيته المعتدلة، نحو المال الذى استودعه الله إياه، واستخلفه عليه فهو يتصرف فيه بالطرق المشروعة، من غير إسراف أو تقتير، سائراً على المنهج القرآنى الذى رسمه الله سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالتصرف المعتدل سمة الشخصية المعتدلة، التى تتحاشى الإفراط والتفريط، قال الله سبحانه :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

إن الإسلام لا يمنع من التمتع بالطيبات، ولكنه يضع لها من الضوابط ما يصون شخصية المسلم من الإسراف فيها من ناحية، ومن التكبر والاستعلاء من ناحية أخرى، فالضابط الأول مady ينظم حاجة الجسم حتى يظل صحيحاً

(١) سورة الفرقان، آية (٦٧).

(٢) سورة الإسراء، آية (٢٩).

معافى، والآخر معنوى أخلاقى ينظم طريقة استخدام الرزق، فلا ينحرف الإنسان بوظائف المال إلى الغرور والمكاثرة والمفاخرة.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة » (١).

إن امتلاء المعدة، والإسراف فى تناول الطعام والشراب، يجلب السقام ويشبط الهمة، ويطفئ توقد القريحة، لهذا نرى رسول الله ﷺ يحذر من الإسراف، فيقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » (٢).

وفى لفظ ابن ماجه : « فإن غلبت ابن آدم نفسه، فثلاثاً لطعامه، وثلاثاً لشرابه، وثلاثاً لنفسه » .

وقال لقمان لابنه : « يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

ويدرك بعض السلف القيمة الطبية فى عدم الإسراف فيقول : قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٣).

وإذا كان التمتع بالطيبات جعله الإسلام مصوناً من الإسراف والاستعلاء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، والإمام أبو داود.

(٢) أخرجه الترمذى وابن ماجه.

(٣) سورة الأعراف ، آية (٣١) .

فإنه صان الإنفاق على الغير، والسخاء والعطاء من آفتين : إحداهما نفسية،  
تعنى بكرامة الفقير، وعدم احتقاره بالمن عليه، وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ  
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ  
فَتَرَكَهٗ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْكَافِرِينَ (١).

والآفة الأخرى مالية، تتصل بنوع ما ينفقه ويوجود به، فلا يقصد إلى  
الردىء والخبيث ينفق منه، بل عليه أن ينفق من الطيبات، قال الله سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢)﴾.

وكما صان الإسلام جوانب البذل من الإسراف، والمن، وإعطاء الردىء،  
فإنه قد صان التصرف الإنسانى والإنفاق على النفس من الترف، والبذخ، لأن

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢٦٣ ، ٢٦٤).

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٦٧).

الترف يقضى على المروءة، ويدفع إلى كسب المال من أى وجه، وربما انزلق صاحبه فى طلبه إلى الجرائم والشرور، مشدوداً ببريق الزخرف الخلاب، أو المتعة الكاذبة.

ولهذا فإن المترفين بعيدون عن خلق الشجاعة والنجدة، والشهامة والمروءة ولا يمكن تحديد شخصيتهم، لأنها غائمة المعالم، لا يضبطها عقل، ولا يحكمها دين، وإنما تتحكم فيها غرائزها، فتنتقل لإشباعها، واستجابة ندائها، دون وازع أو رادع، والترف من أخطر ما يكون فى ضياع الأمم والمجتمعات وانحدارها، خاصة إذا قام المترفون وراء كل منكر، وجروا فى تيارات الفسق والعصيان، قال الله تعالى :

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝﴾ (٢).

والإنسان المترف المضيع لدينه، ضعيف الرجولة، مترهل الجسم فاقد الإرادة، باثر النفس، كالأرض البور، التى ضرب الجذب فيها أطناباً، فهى من الضحالة والجمود بحيث لا تنبت ولا تثمر، وحياة المترف ونفسه كذلك،

(١) سورة الإسراء، آية (١٦).

(٢) سورة هود، آية (١١٦).



لا تنصرف إلا إلى الشهوات والمتع، فلا تعطى خيراً، ولا تبذل معروفاً ولا تتفاعل مع الحياة، ولا تتجاوب مع مواكبها المنطلقة الهادرة، إنها بور كما وصفها القرآن الكريم :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) ﴾ (١)

وإذا كان الإسراف رذيلة ممقوتة، فإن الشح والبخل من أشد الرذائل خطراً على الفرد والجماعة فالبخيل يده مغلولة، يضيع حقوق الناس، ويعطل سير الحياة، ويوقف أعمال البر والخير، بل إنه يترتب على الشح من المضار والمساوي ما يكون سبباً في سفك الدماء واستحلال المحارم، قال صلوات الله وسلامه عليه : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (٢).

بل إن ضرر البخل لا يقتصر على الجماعات فحسب، وإنما يعود على نفس الإنسان البخيل ويرجع عليه بشره وخطره، قال الله سبحانه :

(١) سورة الفرقان، الآيتان ( ١٧ ، ١٨ ).

(٢) رواه مسلم.

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُفْقَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (١)

ويوضح الإسلام أثر الشح، وما يتسرب عن طريقه من البخل بالمال، والبخل بالنفس، والقعود عن الجهاد، والجبن، وهكذا إذا استولى الشح على النفس الإنسانية جردها من الفضائل وسد عليها كل صنائع المعروف ويكشف الرسول ﷺ عن هذا كله، مبيناً شر ما في نفس الإنسان وأخطر ما ينطوى عليه من الرذائل فيقول : « شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع » (٢).

وبهذا نرى كيف نقي الإسلام شخصية المسلم في تصريفها المالى وإنفاقها، ودعا إلى إظهار أثر نعمة الله على الإنسان، روى الإمام النسائي - بسنده - عن أبي الأحوص عن أبيه قال : « دخلت على رسول الله ﷺ فرأيت سيئ الهيئة فقال النبي : هل لك من شيء ؟ قال : نعم ، من كل المال قد آتاني الله ، فقال : إذا كان لك مال فليسر عليك ».

وفي هذا كله عناية بالشخصية وتقوية للبناء الإنسانى، وتوثيق لوشائجه فى المجتمع.

\*\*\*

(١) سورة محمد، آية (٣٨).

(٢) رواه أبو داود.

## بين الخوف والرجاء

ومن تحلّى المسلم فى صلته بربه أنه يعيش وسطاً بين الخوف والرجاء ويتشكل الوجدان الإسلامى المعتدل، بين الخوف والرجاء، حيث يتوازن بناء الشخصية، فلا يؤدى به الرجاء إلى الإهمال، ولا يؤدى به الخوف إلى اليأس:

﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وبين الخوف والرجاء، يستيقظ الضمير الدينى، محذراً لصاحبه من التردى فى مهادى الفساد والتهلكة، ومرغباً له فى طريق الطاعة والنجاة، وبالرغبة والرغبة، تنمو فى أعماقه عواطف جياشة، وأحاسيس صادقة، مبعثها صحة العقيدة، وقوة الصلة بالله، وهذه الصلة الوثيقة، هى التى تضيف على حياته الرجاء فى رحمة الله، وفى الوقت نفسه تحذره من عذابه:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

والاتجاه إلى الله بالرغبة والرغبة مع المسارعة فى الخيرات، سبيل لفتح الأبواب، وتحقيق الآمال، لأنه لا يستقيم على ذلك إلا من صدقت نيته،

(١) سورة يوسف، آية (٧٨).

(٢) سورة الإسراء، آية (٥٧).

وصفت سريرته ، وأشرقت حياته بالإيمان ، ولقد أخبر الله تعالى عن زكريا عليه السلام ، حين طلب أن يهبه الله ولداً ، يكون نبياً من بعده ، فسارع هو وأهله فى الخيرات ، وفى الدعاء رغباً ورهباً فأجاب الله دعاءهم وحقق رجاءهم ، قال تعالى :

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨٩ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ٩٠ ۝ ﴾ (١)

فهذا نموذج عال يقدمه القرآن ، فيه تجلية لأثر الخوف والرجاء ، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم فى دعائه واتجاهه إلى الله .

وبين الخوف والرجاء ، دائرة إيمانية مشرقة تنطفئ فيها المخاوف النفسية ، وينبثق منها الأمن الروحى ، حيث يكف الإنسان نفسه عن كل ما يغضب الله ، خوفاً منه ، ويسارع إلى مرضاته ، رجاء رحمته ، وعندئذ يظل مستشعراً ثواب الله وعقابه ، وغفرانه وعذابه ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ ۝ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان ( ٨٩ ، ٩٠ ) .

(٢) سورة الحجر ، الآيتان ( ٤٩ ، ٥٠ ) .

وقال تعالى : ﴿ حَمَّ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ (٣) ﴾ (١).

وكما دعا القرآن إلى الخوف والرجاء ، ففي السنة الشريفة فيض غامر يستهدى به المسلم في حياته ، ويفتح أمامه باب الأمل والرجاء في رحمة الله ، روى الإمام مسلم - بسنده - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال الله عز وجل : «سبقت رحمتي غضبي» .

وفيما رواه أيضاً عن عمر بن الخطاب أنه قال : « قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تبحث عن سبي لها فلما وجدته أخذته ، فألصقته بطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله ﷺ : أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

وحتى لا يتكل الناس على الرحمة وجانب الرجاء ، نجد أن رسول الله ﷺ يخبر عن وقوع العذاب من أمور قد يستهين البعض بها :

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً » .

---

(١) سورة غافر ، الآيات (١-٣) .

قال الزهري : لثلا يتكل رجل ولا يئأس رجل .

وتؤكد السنة المشرفة حقيقة الخوف والرجاء ، ومدى ما عند الله من العقوبة والرحمة ، حتى لا يتسرب الغرور أو اليأس إلى داخل النفس الإنسانية .

روى الإمام مسلم - بسنده - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد » (١) .

وترسم السنة صورة كاملة الملامح لحياة الإنسان اليومية يكتنفها الخوف والرجاء ، في حركته وسكونه ، في يقظته ونومه .

ففيما رواه مسلم عن سعد بن عباد : حدثني البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أخذت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : « اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت » .

وليس في عنصر الخوف من الله إهدار الحرية واستقلالها ، كما يدعى أعداء الإسلام ، فإن الخوف صمام أمن ، وعاصم من الزلل ، والتربية في أمسّ

---

(١) رواه مسلم .

الحاجة إليه، ثم إنه ليس خوفاً من مخلوق وإنما هو خوف من الله، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَالِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وعلى هذا المنهج يبعث الإسلام في النفس روح الشجاعة، ويدفعه إلى الجهر بالحق، ويكفه عن الاسترسال في الذنوب، أو الإهمال والأعذار.

ويقول السلف : ينبغي تغليب الخوف على الرجاء ما دام الإنسان يغدو ويروح في الدنيا ، فإذا خرج منها حسن به تغليب الرجاء على الخوف عند ذلك .

ويرى البعض أنه إذا غلب الأمن من عذاب الله فالخوف أفضل، وإذا غلب اليأس فالرجاء أفضل، وما أروع ما قاله ابن القيم في هذا :

« القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر ، فالمحبة رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ، ومتى قُطع الرأس مات الطائر ، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر» .

\*\*\*

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٧٥).

---



## بين العسر واليسر

من أهم الملامح لشخصية المسلم، الثبات في العسر واليسر، إن المسلم شاكر في السراء، صابر في الضراء، يبرهن على صدق عقيدته بالإففاق في الحالين، يقول الله تعالى - في وصف المتقين - :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (١).

إن شخصية المسلم لا تهتز بالعسر، ولا تقنط بالضراء، كما أنها لا تفضل ولا تطغى باليسر أو السراء، وإنما هي في الموقفين سواء، وهذا شأن المسلم الذي قويت عقيدته، وأتت أكلها وثمارها، إنه شاكر في السراء صابر في الضراء، قال ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (٢).

إن للمسلم خطاه الثابتة، التي يسير بها ومعها يقين يضيء له الطريق، وثقة تذيب كل هم أو حزن أو غم، فنظرته إلى الحياة ذكية واعية، ومواجهته لمشاهدها العديدة حازمة حاسمة، لا يشده بريقها، ولا يخدعه زخرفها، ولا يتعلق بمتاعها القليل :

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٣٣).

(٢) رواه مسلم.

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (١)

إن حياة المسلم سلسلة متصلة الحلقات، من الابتلاءات والاختبارات، فمنها ما يكون ابتلاء بالنعمة، ومنها ما يكون بالنقمة، وتلك سنة الله في خلقه، والعزائم المخلصة، ذات المعادن الأصيلة، حين تنصهر في بوتقة الابتلاء بالبأساء والضراء تخرج وهى أشد عزمًا، وأقوى إرادة، وأكثر بريقًا ولمعانًا، وعندئذ يأتيها نصر الله :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمٌ  
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ رَزَّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا  
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢)

وموقف السلف من محن الحياة وابتلائها، موقف الحريص على عقيدته، المؤمن بقضاء ربه، الواصل من الفرج والمثوبة، يقول أحدهم : « وما أُصِبت في دنياى بمصيبة إلا رأيت لله فيها ثلاث نعم : أنها لم تكن في ديني ، وأنها لم تكن أكبر منها ، وأنتى أرجو ثواب الله عليها » .

أما شخصية الإنسان التى لم تنهذب بالإسلام، ولم تصقل بمبادئه القويمية، فهى فى تطلع إلى فضل الله، ورجاء مُلحٍّ لنعمته، إذا نزل الضر، فإذا رفعه

(١) سورة النساء، آية (٧٧) .

(٢) سورة البقرة، آية (٢١٤) .

الله وأحاطت النعمة جوانب الحياة فإنه ينسى ما كان فيه، ولا يقيم حق الله في نعمته، ولا يؤدي الشكر الواجب عليه حيالها :

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (١) .

إنه في حال النعمة ينسى حق الله وحق العباد، ويظل في إعراضه وبعده، فإذا مسه الشر فإنه يلهج بالدعاء. لقد خيمت على شخصيته الأنانية، وملأت الأثرة أقطار نفسه، فلا ينظر للحياة إلا بمنظار المنفعة الخاصة، يدور معها حيث تدور، ويبحث عنها في كل الزوايا، لا يعنيه شيء سوى منفعته، وفي إطارها الضيق يعيش في جو خائق، ومناخ لا يستقر :

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٢) .

إن الطبيعة البشرية، في صراعها الرهيب، وفي رغبتها الجامحة لمطالبات حياتها تظل خطاها تلح فوق الدروب المتشابكة، بغية الوصول إلى أملها

---

(١) سورة الزمر، آية (٨) .

(٢) سورة فصلت، آية (٥١) .

وهدفها وتضع على مفترق الطريق أمنيات رطبة خضراء لو تحقق ما تصبو إليه النفس، أو جاء ما يهفو إليه الإنسان ملأ سيره كل المسالك، فكان وصولاً للرحم باراً بالمحتاجين، سباقاً للبذل في الملمات، ساعياً لقضاء مصالح الناس، محباً ودوداً لكل القلوب، لكنه عندما يتحقق رجاؤه، ويستجاب دعاؤه، وتسير حياته متدفقة بالنعمة والخير ينسى ما اعتزم عليه، ولم يأبه بمن مد يده إليه، ومن هنا تتعالى نداءات الإسلام موجهة إلى شكر الله الذي أنعم، ودافعة إلى النظر بعين الاعتبار إلى تلك النعم التي لا تحصى :

﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١)

وشكر صاحب النعم طريق إلى بقائها واستمرارها وزيادتها :

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٢)

وتتوالى تعاليم الإسلام في إرساء قيم الحق، وصقل الشخصية الإسلامية وتهذيبها وعلاجها من ذلك الضعف الروحي، والتمزق النفسي، وذلك بالصبر، والعمل الصالح، والانطلاق من قاعدة العقيدة الصحيحة التي تشرق الحياة منها رخاء آمنة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفِّرُ ۚ ﴾ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ

(١) سورة إبراهيم ، آية (٣٤) .

(٢) سورة إبراهيم ، آية (٧) .

ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

وإذا كان الصبر وعمل الصالحات من وسائل صقل النفس، وتربية الشخصية، فإن هناك علاجاً آخر لروحه، ولقاء طيباً يتم فيه تخلص الإنسان من هلعه وجزعه، ومن جحده ومنعه، ذلك هو لقاء الله تعالى في الصلاة التي تتكرر كل يوم مذكرة وموجهة في كل ركن من أركانها بأن الله أكبر من كل شيء، وكذلك في القول والإنفاق، وفي التصديق بيوم الدين والخوف من الله وعقابه ومراعاة الأمانة والعهد والقيام بالشهادة، كل هذه الأمور يلفت القرآن النظر والقلب إليها لتقويم الشخصية وتنقيتها من الهلع والجزع والجحود.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾

(١) سورة هود ، الآيات (٩ - ١١).

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٢٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٢٣)  
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٢٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ ﴿١﴾

إن شخصية المسلم الحقيقية تملأ عليه أن يتعرف على ربه في وقت الرخاء  
كما يتعرف عليه في وقت الشدة، فإن من كان كذلك فهو صادق الإيمان  
يستحق تيسير الله له وتفريجه لهماومه ، كما قال الرسول ﷺ : « تعرف إلى  
الله في الرخاء يعرفك في الشدة » .

وفتح الله سبحانه أبواب رحمته ، ونادى عباده إليها ، وبين أنه قريب  
منهم ، يجيب دعاءهم ويحقق رجاءهم ، وعليهم أن يستجيبوا لما يحييهم ،  
ويقوموا بأصول الإيمان الحق ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢)

\*\*\*

---

(١) سورة المعارج ، الآيات (١٩-٣٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٨٦) .

## بين الجانب الحسى

## والجانب المعنوى

لشخصية المسلم جانبان ترتكز عليهما، وتتضح صورتها بهما، فأما الجانب الأول فهو الجانب الحسى: ويشتمل على ما يحتاج الإنسان من طعام وشراب وحركة وسكون وملبس ومسكن وما يظهر به من صورة وشكل.

وأما الجانب المعنوى : فيتمثل فيما يتخلق به المسلم من أخلاق وما يتعامل به من مثل حية وقيم نابضة، وما له من عقل مميز واع، وقلب طيب كبير، وعاطفة معتدلة رحيمة وإذا ما فقد المسلم هذا الجانب المعنوى الأصيل فى بناء شخصيته ، فإنه حينئذ يصبح ظلاً لغيره يتحرك بحركته، ويسكن بسكونه فليس له تفكيره الخاص به، لأن انعدام الجانب المعنوى يترتب عليه ضياع الوجود المعنوى للإنسان وهو الوجود المهم الذى له أثره وخطره فى الحياة، فليس الإنسان جسماً ولحماً ودماً لا غير وإنما هو - إلى جوار ذلك - يشتمل على قلب مخلص كبير يصدق بربه، ويحمل معانى الخير فى داخله ويشتمل على عقلية خصبه واعية تفتح للحياة وتؤثر فيها بكل ما هو نافع ومفيد وكل ما هو مصلح ومثمر.

إن ضياع الجانب المعنوى يجعل الإنسان ذليلاً لغيره، ويصيب حياته بالذلة

والمسكنة - وإن كان يسكن فى أعظم القصور - ويجعله فقيراً - وإن كان يملك ما يملك أغنى الناس من القناطير المنطرة من الذهب والفضة - ومن أجل هذا نجد أن الإسلام يعنى بتربية الشخصية على الجانبين معاً، ويخاطب صوت الحق أعماق الإنسان المسلم ليحيى قلبه وليكون رقيق الإحساس دقيق الشعور، بعيداً عن القسوة والغلظة، خاشعاً لله رب العالمين.

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (١)

إن القلب هو المحرك الأول لهذا الجانب المعنوى، فضلاً عن الجانب الحسى ولذا فقد نبه رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - على جانب القلب والعناية به، لما يترتب على صلاحه من صلاح سائر الجوانب وسائر الأعضاء ففى الحديث : ( . . . ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ) (٢).

إن ضياع الجانب المعنوى وما له من قيم روحية، ومثل حية فاضلة يعمل

(١) سورة الحديد، الآيتان (١٦ ، ١٧).

(٢) رواه البخارى ومسلم.



على ضياع الإنسان وانحداره بشخصيته إلى الهوة السحيقة ، وكذلك فإنه إذا تمسك بالجانب الحسى البشرى وحده وتفاعل فى إطاره وتمثل كل مطالبه ، فإن لهذا الجانب نزوات طائشة ، وتصرفات توقف المجتمع على فوهة البركان ثم تسقط أفراد واحدًا تلو الآخر فى الهاوية ، وذلك لما يترتب على تمثيل البشرية الحسية الضيقة والتعامل بنزواتها ونزعاتها من صراع بين الأفراد يؤدي إلى صراع بين المجتمعات وتنبت الأحقاد والأضغان وتنتشر الفتن الملتهبة ، والأطماع المسعورة ، والحروب الطاحنة ، وعندئذ يختفى الأمن ، ويضيع السلام ويشتد الخناق على الضعيف ، وتسلب الحقوق ، وتتهوى القيم والمبادئ ، ويتفنن الناس فى وسائل التدمير ، وهكذا يضيع الفرد وتضيع الجماعة ، ما دام الجانب المعنوى بقيمه مفقوداً بين الناس .

ولا سعادة للفرد أو المجتمع ، إلا إذا تخلص عن طغيانه وجبروته أو عن ذلته وهوانه ، وسار على منهج الحق الذى رسمه الإسلام صراطاً مستقيماً ، قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنعام ، آية (١٥٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴾ (١).

وفى ظل هذه المبادئ المعنوية، والقيم الروحية، تظهر شخصية المسلم فى حياتها الطيبة وكلها جد وعمل، وإشراقة وأمل، تظهر بروح التعاطف والتآلف، عارفة بواجبها فى الحياة، فهى بعملها الصالح تحيا حياة طيبة، وهى بعملها الصالح تحجزى يوم القيامة الجزاء الأوفى كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وفى سبيل إقرار هذه المبادئ والعمل على إحلال الشخصية الإسلامية محلها اللائق بها، وضع الإسلام طريق الحق والخير والإصلاح ومهد السير فيه على هدى وبصيرة لئلا يكون للناس حجة، قال الله تعالى :

(١) سورة طه، الآيات (١٢٣-١٢٧).

(٢) سورة النحل، آية (٩٧).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ (١)

\*\*\*

---

(١) سورة الأنعام، آية (١٠٤).

---

## الوسطية من أبرز سمات المجتمع الإسلامى الفاضل

ينشد الإسلام من أتباعه أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، ومن أجل أن يصبحوا كذلك وجبت على المجتمعات أن تستكمل عناصر الأفضلية والخيرية، وهى عناصر ليست صعبة، ولا شيئاً مستحيلاً، فهى تتركز فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كما تتمثل فى تطبيق هذا الإيمان عملياً بما شرعه الله تعالى من عبادات ومن عمل واجب على كل إنسان.

وحتى تأخذ هذه السمات المثالية موقعها من حياة المجتمع لا بد قبل ذلك من أن يتخلى عن كل ما يُسئ إلى الحياة الإسلامية فى كل جوانبها، ولذا كانت التخلية مقدمة على التحلية، وكان تجنب الرذائل مقدماً على التحلى بالفضائل.

ومن أخطر الرذائل التى يمتد أثرها السيئ إلى الجوانب الأخرى: الجانب المادى والمعاملات المالية فهى - غالباً - تكون من أهم أسباب الخلافات الدينية والأخلاقية والاجتماعية بين الناس.

ومن أجل ذلك حذر الإسلام من أخطر تلك المعاملات المالية وهو « الربا »

فحذر منه، ونهى عنه، لما له من آثار سيئة فى سائر جوانب الحياة الخلقية والاجتماعية والنفسية، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

ثم أمرت الآيات أن نتقى النار التى أعدت للكافرين، وأن نطيع الله والرسول رجاء الرحمة الكبرى بنا .  
وجاءت الآيات الكريمة موضحة هذه الحقائق فى أبهى صورها، حيث قال سبحانه :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران، آية (١٣٠).

(٢) سورة آل عمران، الآيات (١٣٣-١٣٦).

لقد جاءت هذه الآيات الكريمة تحمل سمات المجتمع الإسلامى الفاضل،  
وخصائصه المثالية وعناصر تقواه .

قد أمر الله عباده بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة فى ذلك  
وجاء التوجيه الربانى بصيغة تقتضى هذا الجزاء العظيم، الذى أعد لهم،  
لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدم الجزاء أولاً ليبين أنه المتكفل به والضامن  
له، ثم ذكر - بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم، ثم ختم الوصايا بما بدأ به،  
بيان الجزاء :

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مِّمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۖ﴾ (١)

فوضحت الآيات أن هذا الجزاء إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم وفضل ربهم  
سبحانه وتعالى، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وليوضح أيضاً أن  
الجزاء مؤكد عند الله سبحانه وتعالى .

وخلال حديث القرآن الكريم، عن أوصاف المتقين، الذين سموا فى  
أعمالهم إلى مراقى الفلاح، وكونوا بمثاليتهم أرقى مجتمع إنسانى على ظهر  
الأرض ، وفى معرض تعداد الأوصاف ذكر القرآن الكريم نوعين من

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٦).

الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التي يتمون إليها، سعادة حسية مادية،  
وأخرى نفسية ومعنوية:

أما الأولى الحسية المادية فتتمثل في الإنفاق في السراء والضراء .  
وأما الثانية النفسية المعنوية فتتمثل في كظم الغيظ والعفو والإحسان والتوبة  
إلى الله .

توضح هذه الملامح الآيات الكريمة :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ  
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى  
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ (١)

لقد جاءت الآيات الكريمة، حاملة سمات المجتمع الإسلامى الفاضل  
تكتنفها آيات سابقة تناولت معركة جدال ومناظرة، وآيات لاحقة تناولت  
معركة حرب وقاتل فى يوم أحد.

(١) سورة آل عمران ، الآيات (١٣٣ - ١٣٦).



فجاءت هذه الآيات الكريمة بعد الآيات الأولى فأدارت حواراً وتربية وتوجيهاً للنفس الإنسانية خلال الدخول في الحديث عن يوم أحد وعن القتال، بياناً لتكامل المنهج الرباني من جميع الوجوه، عقيدة وعبادة وأخلاقاً وجهاداً.

وابتدأت الآيات بنداء المؤمنين، ونداؤهم بوصف الإيمان يفيد حضهم على ما يدعوهم إليه وحثهم على السرعة في الاستجابة التي سيطالبهم بها وعدم الإهمال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> فنهى عن أكل الربا في كل أنواعه .

وليس قوله: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ شرطاً في تحريمه، بل هو بيان للواقع الذي كانوا عليه، أما حكمه فهو حرام - كثر أو قل ، كان أضعافاً أو لم يكن كذلك - قال الله تعالى موضحاً صورة أكلة الربا، وتحريمه ومحقه للمال مهما زاد، ووعيده لآكليهِ المصيرين عليه:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٠) .

لَا يُحِبُّ كُلُّ كُنَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَاتَوَّأُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ  
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ  
لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ  
تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ  
تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ (١)

وما هذا البيان لخطورة الربا ونهاية صاحبه ووعيده بحرب من الله ورسوله  
إلا لما فيه من إفساد للحياة الخلقية والاجتماعية والنفسية، وإفساد لحياة  
الإنسان كلها فأرادت الآيات الكريمة تنقية البيئة الإسلامية من هذا الفساد  
وعلاجها من تلك الأمراض لأن لها أسوأ النتائج في الحياة المعيشية، وفي  
المعارك الحربية؛ فلا يتنصر المرابون في حياتهم ولا معاشهم، فالله يحق  
الربا، ولا في حروبهم؛ لأن الله تعالى ينصر من ينصر دينه وينفذ تعاليمه.

وجاء النهي عن أكل الربا أثناء الحديث عن غزوة أحد، كما جاءت هذه  
السمات المكونة للمجتمع المثالي أثناءها، لتوضيح أن تطبيق التعاليم بدون

(١) سورة البقرة، الآيات (٢٧٥ - ٢٨١).

توثيق الصلة بالخالق والقيام بحق المجتمع لا يتم بذلك النصر، وأن النصر في المعارك الحربية وغيرها لا بد له من النصر على النفس الأمارة بالسوء وعلى أهوائها، وأن مخالفة رسول الله ﷺ يترتب عليها ما لا تحمد عقباه، كما حدث في يوم «أحد» فجاء في سياق الحديث عن هذه الغزوة التوجيهات البانية للمجتمع لتكون واقعية وعملية.

وعقبت الآيات على النهى عن أكل الربا بالأمر بالتقوى رجاء الفلاح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> كما حذرت الآيات من النار التي أعدت للكافرين ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لينبه إلى أنه لا يأكل الربا من يخاف النار التي أعدت للكافرين، وأنه لا يأكل الربا مؤمن بعيد في إيمانه عن الكافرين، وإنما يستحله ويأكله من كان قريباً منهم ومن أفعالهم.

وفي ذكر الكفر تشنيع لأمر النار، أو أن أكلة الربا توعددهم الله بنار الكفرة، إذ إن النار سبع طوابق<sup>(٣)</sup> العليا منها وهي جهنم للعصاة، والخمس للكفار، والدرك الأسفل للمنافقين، فأكلة الربا إنما يعذبون يوم القيامة بنار الكفرة، لا بنار العصاة؛ فالألف واللام للعهد.

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٠) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣١) .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، طبع وزارة الأوقاف المغربية .

ثم أمرت الآيات الكريمة بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ حتى يحظى الناس  
برحمة ربهم ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

وجاء هذا التوجيه بعد النهى عن أكل الربا لبيان أنه لا طاعة لله وللرسول  
فى مجتمع يقوم على النظام الربوى، ومن وقع فى ذلك فعلاجه أن يطيع الله  
والرسول لعله يحظى برحمة الله تعالى.

ويدخل فى طاعة الرسول ﷺ طاعة ولاة الأمر القائمين على تعاليم  
الإسلام لقوله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله  
ومن أطاع الأمير فقد أطاعنى ومن عصى الأمير فقد عصانى » (٢).

\*\*\*

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٢) .

(٢) رواه البخارى فى « الجهاد » .

## الوسطية

### والجوانب المثالية

ولما كانت الوسطية تعنى التوازن والاعتدال وتريد الأفضل والأجود والأعدل، وأوسط القوم أفضلهم، فهي تنشذ المثالية فى الأمور بأسلوب مستقيم وبأحسن الأفعال فى كل الأحوال .

ونقدّم هنا نماذج من سمات المجتمع الإسلامى الفاضل الذى وصلت به الوسطية إلى جوانبه المثالية .

وتطلعنا الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى :

أولاً : الإنفاق فى السراء والضراء .

ثانياً : كظم الغيظ .

ثالثاً : العفو عن الناس .

رابعاً : الإحسان إلى من أساء .

خامساً : التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى .

## أولاً : الإنفاق فى السراء والضراء :

إن أولى سمات المتقين الذين يكونون المجتمع المثالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾<sup>(١)</sup> أى : فى حالة الرخاء وحالة الشدة ، و﴿ السَّرَّاءِ ﴾ من السرور أى : فى الحالة السارة التى يستشعر الإنسان فيها السعة واليسر ، و﴿ الضَّرَّاءِ ﴾ من الضرر أى : الحالة التى يشعر فيها الإنسان بالضيق والعسر ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيرها باليسر والعسر .

وهنا لفظة حكيمة ، حيث بدأت صفات المتقين بالإنفاق وذلك لسببين :

أولاً : لمقابلته بالربا الذى نهى الله عنه فى الآية السابقة فى قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى للفقير وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق ، فإن فى الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له ، لا يبتغى من الفقير جزاء ولا شكوراً .

ثانياً : للدعوة إلى الإنفاق فى جميع الحالات ، فى العسر واليسر ، وفى

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٤) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٠) .

هذا دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين، وهذا هو شأن المتقين لا اليسر يجعلهم فى بطر، ولا العسر يوقعهم فى قنوط أو ضجر، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم فى الحالين سواء.

فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعاً للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى استهلكت الآيات الكريمة موكب المتقين بفضيلة الإنفاق فى السراء والضراء.

وواضح أن الإنفاق دليل صدق الإيمان وأن الصدقة برهان على ما يمكنه المسلم من صدق فى عقيدته وعبادته وكما جاء فى الحديث: «... والصدقة برهان»<sup>(١)</sup>.

وأفضل أنواع الصدقة ما يقدمه الإنسان وهو صحيح صحيح أمامه الآمال فى الدنيا، ومع هذا فهو يؤثر ما عند الله على ما فى دنياه.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبأته أن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد فى فضل الإنفاق قول الله تعالى:

(١، ٢) رواه مسلم.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ  
النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

ووعده الله تعالى أن يخلف على من أنفق، ووعدده حق لا يخلف الله  
الميعاد، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٢)

بل إن ملكاً يدعو للمتفق بأن يعطيه الله خلفاً، عن أبي هريرة رضى الله  
عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً يباب من أبواب السماء يقول: من  
يُقْرِضُ اليومَ يُجْزَ غداً، وملكاً يباب آخر يقول: اللهم أعط متفقاً خلفاً وعجل  
لمسك تلفاً» (٣)

ويقول رب العزة سبحانه:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا  
قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ  
هُم يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٤)

(١) سورة النساء، آية (١١٤).

(٢) سورة سبأ، آية (٣٩).

(٣) رواه أحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط.

(٤) سورة الذاريات، الآيات (١٥-١٩).



## ثانياً : كظم الغيظ :

ثم تذكر الآيات الكريمة الفضيلة الثانية من سمات المتقين وهي قوله سبحانه: ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ <sup>(١)</sup> والغيظ هو شعور النفس الداخلى الذى لا يظهر على الجوارح ، وأما الغضب فحال معه ظهور على الجوارح ، والكاظمون هم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق أو حين يستفزهم موقف ما، وهذه السمة تقتضى ضبط النفس، وكبح جماحها حتى لا تنزلق فى الشر فتكون فتنة ..

وقد بين الرسول ﷺ درجة كظم الغيظ وثمرته حين قال: « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمانة وإيماناً » <sup>(٢)</sup>.

وكظم الغيظ نوع من جهاد النفس، ففيه مقاومة ورد للغيظ فى الداخل حين يوشك على الخروج من كثرته، فلا يقدر على رده وجهاد نفسه بمقاومة الغيظ والغضب إلا من كان قوى الإيمان، ولذا يقول الرسول ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » <sup>(٣)</sup>.

وإن فى هذه السمة بياناً لعلاج الإسلام للنفس الإنسانية حين يستفزها الغضب أو الغيظ وكيف أن الله تعالى يكافئ من يجاهد نفسه بأجر وافر

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٤) .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا .

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم .

وثواب عظيم قال ﷺ : « ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجراً من جرعة غيظ في الله » (١) .

وفيما رواه أبو داود من قول الرسول ﷺ : « وما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان » (٢) . ردّاً على سؤال أبي بكر بعد أن كظم الغيظ مرتين في مجلسه لما نال منه أحد الناس ، وردّ عليه في الثالثة فخرج الرسول ﷺ من المجلس فلما سأله أبو بكر قائلاً : أوجدت عليّ يا رسول الله ؟ أى : أغضبت عليّ فأجابه ﷺ بما يفيد أن ملكاً من السماء كان يرد على الرجل فلما رد أبو بكر خرج الملك ونزل الشيطان، وقال ﷺ : « وما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان » أو ما معناه .

ومرحلة كظم الغيظ هي المرحلة الأولى من مراحل المعركة مع النفس وضبطها حتى لا تتفاعل النفوس بالغضب أو تنفجر بالعدوان .

وعن سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء » (٣) .

ومرحلة كظم الغيظ مرحلة أولى فى ميدان جهاد النفس ، وهى تمهيد

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

لمرحلة تالية وهى مرحلة «العفو» فكظم الغيظ وحده لا يكفى، فقد يكظم الإنسان غيظه ويكون بداخله حقد دفين يظهر بعد ذلك، ولذا كانت المرحلة التالية لذلك مرحلة العفو عن الناس، ثم الإحسان.

### ثالثاً : العفو عن الناس:

وفى هذه المرحلة ينتقل جهاد النفس من حالة الكتمان إلى حالة الظهور فى صورة العفو والتسامح ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> وهنا يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى كادت تندلع بها النفس الإنسانية وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتقاء وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولا يزال فى قلبه شئ من الضغينة، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقياً.

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٤) .

(٢) سورة فصلت ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟ قالوا : نعم يا رسول الله، قال : تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك» (١).

وفى هذه السمة تنقية لقلب الإنسان، من الأحقاد والأضغان، فلا يعفو عن أخيه إلا إذا صفا قلبه، وتأكيد القرآن على هذا الخلق فيه يجعل من أفراد المجتمع أخوة متحابين متواصلين، لا متنافرين متباعدين، وذلك بكظم الغيظ والعفو عن الناس.

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : يا رسول الله أى الناس أفضل؟ قال ﷺ : « كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال : التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد» (٢).

وينظر الإسلام إلى الذين لا يعفون عن الناس، ولا يقللون عشرة أحد ولا يقبلون معذرة إنسان، ولا يغفرون ذنباً لأحدهم . . ينظر الإسلام إليهم على أنهم شرار الناس.

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه ابن ماجه.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ، ويجلد عبده ، ويمنع رفته ، أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال : من ييغض الناس وييغضونه ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال : الذين لا يقلون عشرة ، ولا يقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره » (١) .

#### رابعاً : الله يحب المحسنين :

وإذا كان العفو منزلة فوق العدل كان عند بعض العلماء إحساناً ، وعلى هذا فمعنى ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) أى : الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوههم . . ولكن يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سمة رابعة من سمات المتقين ، فهى درجة أرقى من سابقتها ، بحيث كان أصحابها المتصنعون بها لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب ، بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم .

روى أن جارية لعلى بن الحسين رضى الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء

(١) رواه الطبرانى .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٤) .

ليتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه فقالت: إن الله يقول: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ﴾ فقال: قد كظمت غيظي، فقالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفوت عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، ورويت هذه الواقعة في تفسير الطبري عن ميمون بن مهران، كما رويت عن جعفر الصادق.

ومقابلة السيئة بالإحسان هي دعوة القرآن الكريم التي أكد عليها بقول الله جل شأنه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد دعا إليها رسول الله ﷺ حين أمر بالإحسان إلى من أساء وطبق ذلك عملياً حين قال يوم فتح مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». وحين قال: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

واتسمت دعوته بالرفق وحسن معالجة الأمور، ومقابلة السيئة بالإحسان، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم النبي ﷺ ثم قام ودخل المنزل، وأرسل إلى الأعرابي، وزاده شيئاً ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال

(١) سورة آل عمران، آية (١٣٤).

(٢) سورة فصلت، آية (٣٤).

له النبي ﷺ : إنك قلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ﷺ : « مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإنى أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » (١) .

وهكذا نرى أن سمة الإحسان إلى من أساء تصلح النفوس وتقربها وتهديها وترشدّها ، وفي السيرة النبوية العطرة نماذج كثيرة ممن أحسن إليهم الرسول ﷺ بعد أن أساءوا مثل : زيد بن سعة الجبر ، ومثل : ثمامة بن أثال وغيرهما ، فكان نتيجة الإحسان ومقابلة إساءتهم به سبباً في إصلاحهم ودخولهم في الإسلام .

خامساً : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ (٢) :

(١) رواه البيهقي .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٥) .

وفى هذه السمة الأخيرة بيان لطبيعة النفس البشرية، وأنها عرضة للخطأ والزلل، فالمسلم النقي إذا اقترف معصية فى حالة ضعف نفسى يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفراً تائباً، وإن سمحة الإسلام لا تدع أمثال هذا النمط فى مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف «المتقين» ما داموا قد ذكروا ربهم واستغفروه ولم يصروا على ما فعلوا.

وكلمة الفاحشة المذكورة فى الآية الكريمة تعم جميع المعاصى وكثير استعمالها فى الزنا، وقيل : « أو » بمعنى الواو. إن المراد بظلم النفس : الذنب الصغير . . وبالفاحشة : الكبيرة .

وبهذه الآية الكريمة يطلع الله تعالى عباده على سماحته وعفوه وغفرانه لعباده ، حيث دعاهم للعفو بينهم ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> فأطلعهم على سماحته وعفوه سبحانه ليتذوقوا طعم التسامح .

ومع أن الفاحشة المشار إليها من أكبر الذنوب إلا أن رحمة الله تعالى لا تطرد أصحابها، ولا تجعلهم فى مؤخرة قافلة البشرية من المؤمنين، وإنما ترفعهم إلى مرتبة المتقين بتوبتهم النصوح حيث يذكرون ربهم ويندمون على ما فرط منهم، ويقلعون عن ذنوبهم ويعزمون على عدم العود ولا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون بخطيئتهم ، وأنهم حين زلوا لم يُطردوا من ساحة

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٤) .



الرحمة والغفران، وبهذا الهدى الربانى تأخذ الآيات الكريمة بيد المخطئ ويشترط ألا ينسى ربه، بل عليه أن يذكره وأن يرجع إليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

واستغفارهم كان نتيجة لذكرهم لربهم حيث ذكروا الله بالخوف من عقابه والحياء منه إذ هو المنعم على عباده .

ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « رحم الله صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه ».

وقد جاء قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فى وسط الكلام ليوقف النفس، داعياً إلى الله مرجعاً فى عفوه وكرمه إذا رجع العبد إليه وتاب.

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ لأنه لا توبة مع الإصرار ولا ذنب مع

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٥) .

التوبة والاستغفار ﴿وَمَنْ يَعْلَمُْونَ﴾ أنهم أذنبوا أو بما حرم عليهم أو يعلمون أن باب التوبة مفتوح.

ثم تختتم الآيات توجيهها بما بدأت به من طلب الإسراع إلى المغفرة والجنة:

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١).

لقد كانت المغفرة والجنة جزاء هؤلاء، فإنهم لم يكونوا سليبين بل كانوا عاملين، ونعم أجر العاملين. لقد أنفقوا، وقاوموا شح النفس، وقاوموا النفس الأمارة بالسوء، وانتصروا في معركة الجهاد مع النفس فاستحقوا هذا الجزاء العظيم.

وهناك فرق بين التائب المستغفر، الذي يستغفر، مع إصراره على المعصية، وبين التائب المستغفر الصادق في توبته ..

فأما المصّرُّ مع استغفاره فهو الذي عناه قول الحسن البصري : استغفاره يحتاج إلى استغفار ..

وأما الثاني الصادق في توبته المقلع عن ذنوبه فهو المقبول عند ربه حتى ولو ضعف وعاد.

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٦) .

ففى الحديث القدسى : « أذنب عبد ذنباً فقال : اللهم اغفر لى ذنبى فقال  
تبارك وتعالى : « أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب » ثم  
عاد فأذنب فقال : أى رب اغفر لى ذنبى ، فذكر مثله مرتين .. وفى آخره قال :  
« اعمل ما شئت فقد غفرت لك » (١) .

وهذا من باب (ادخلوها بسلام) أى : أنه مغفور له ما سبق ومحفوظ إن  
شاء الله فيما يستقبل من شأنه ، وليس فى هذا الحديث تسهيل للمفرطين  
ولا فتح لباب العصيان ، وإنما هو فتح لباب الأمل وعدم القنوط ، وإن الذى  
يكون صادقاً فى توبته يقبلها الله منه ، وإن عاد وصدق فى توبته ثانية يقبل الله  
منه .

أما المصرُّ على الذنب فلا ينطبق عليه هذا المعنى ، فالحديث من باب فتح  
الآمل وعدم اليأس من رحمة الله وعلاج النفوس الضعيفة التى تزل بها  
الأقدام ، ففى الحديث : « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » (٢) .  
وفى الآيات الكريمة السابقة ما يوضح عظم فائدة الاعتراف بالذنب  
والإقرار به والندم عليه .

وهكذا نرى كيف اتجه بنا المنهج القرآنى فى تأسيس المجتمع الإسلامى  
المثالى الفاضل :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب .

إنه بدأ بالنهي عن المعاملات المالية المحرمة وأكل الربا، لأن أكل الحرام يورث فساد القلب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وإذا صلح صلح الجسد كله، ثم اتجه إلى الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، لأنهما تشتملان على كل ما أمر الله ورسوله به، وعلى كل ما ورد النهي عنه، وفيهما الأمان من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وهكذا وضعت الآيات أركان بناء المجتمع بالتكافل الاجتماعي وذلك بالإتفاق في السراء والضراء، وبإصلاح الجانب النفسي بكظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إلى من أساء، ثم بتأكيد الصلة بالله وتوثيق العهد معه سبحانه بالتوبة النصوح، وختمت الآيات مطافتها بما بدأت بالدعوة إليه: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مِّمَّا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١).

\*\*\*

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٣٦) .

## ومن أبرز سمات الوسطية سماحة التشريع الإسلامى

من أبرز سمات التشريع الإسلامى : سماحته ويسر أحكامه فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليسر والرحمة، والخير والتبشير.

والذى يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها وأوضح صورها وغاذجها فى العقيدة والعبادة والمعاملة.

### أما فى العقيدة :

فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جانحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، حلوه ومره .

وليس فى عقيدته إيمان بما جاء به البشر، بل إيمان بما أنزله الله على رسوله ﷺ :

﴿ آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup>.

(١) سورة البقرة ، آية ( ٢٨٥ ) .

وليس فى عقيدته عصية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به واحترام  
لجميع رسل الله تعالى وإيمان بهم دون تفرق بين أحد من رسله ﴿كُلٌّ آمَنَ  
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (١).  
وأما فى العبادة :

فهى عبادة ميسورة، فى وسع كل إنسان أن يأتى بها فلا صعوبة فيها، ولم  
يكلف الله تعالى عباده إلا بما هو فى وسعهم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا﴾ (٢).

وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها :  
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٣).

فمن لم يستطع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو حرج يمنعه من الماء أو  
لأنه لم يجد الماء فقد شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر:  
﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٨٦) .

(٣) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٤) سورة النساء ، آية (٤٣) .

وشرع الله الصلاة، وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على القيام أن يصلي من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعا، ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها بإشارة رأسه، ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه، ولغير القادر على ذلك يُجرى أركان الصلاة على قلبه، ولا يتركها ما دام عقله ثابتاً، لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل التيسير ورفع الحرج أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١)

وأما عبادة الصيام :

فقد رخص الله تعالى للمريض والمسافر سفرأ طويلاً أن يفطر ويقضى الصوم فى أيام آخر، قال تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام آخر.

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٨٤) .

## وأما فى الحج :

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة، بل أوجبه الله تعالى مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١)

وإذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » (٢).

وإقراراً لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول ﷺ عن ثمرة ذلك فى الآخرة حيث يتجاوز الله تعالى عن عباده الذين يتجاوزون ويتسامحون مع عباد الله :

روى البخارى بسنده أن حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا : أعملت من الخير شيئاً، قال :

(١) سورة آل عمران ، آية (٩٧) .

(٢) رواه البخارى .



كنت أمر فتيانى أن ينتظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر، قال : فتجاوز الله عنه » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « من أراد أن تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر » .

وكما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا فى دار الإسلام وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكيناً لعباداتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة .

ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهد . . قال رسول الله ﷺ : « ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة » (٢) .

(١) سورة الممتحنة ، آية (٨) .

(٢) رواه البيهقى .

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « أوصيكم بذمة الله ، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم » ..

وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصري الأمة أحل الله طعامهم فقال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ (١) .

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية ولها رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك ، قال الله تعالى :

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (٢) .

وما يدل على انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين ، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبين رجل من أهل الكتاب ، وذلك عندما فقد الإمام على رضى الله عنه درعه ، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى ، فجاء به إلى القاضى شريح قائلاً : إنها درعى ولم أبع ولم أهب ، فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى قائلاً : « ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ » فقال الرجل : ما الدرع إلا درعى ، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب .

---

( ١ ، ٢ ) سورة المائدة ، آية ( ٥ ) .

فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على رضى الله عنه يسأله : « يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك على وقال : أصاب شريح ما لى بينة، فقضى بالدرع للرجل، فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . . أمير المؤمنين يُديننى إلى قاضيه فيقضى عليه ؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على رضى الله عنه : « أما إذا أسلمت فهى لك » .

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى مع رجل من أهل الكتاب ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية : أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة .

إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه ويحكم قاضيه عليه، لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع فأنطق الله الرجل أن يقول : أما

أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء .. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلاً : الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، انبعث الجيش ، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلاً : أما إذا أسلمت فهى لك .

إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين ، وصورة من سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين ، لا له .

إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين ، هى التى قربت الإسلام إلى الناس وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا .

أما صور التعصب الممقوت التى يُساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه ، بل تدفعهم إلى النفور منه .. ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يُجَلِّى هذه الحقيقة : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ <sup>(١)</sup> وأيضاً لا حرج فيه ولا مشقة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح ، لا إلى العسر والغلظة :

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٥٦) .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٨) .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١).

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب أموراً مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن فلا يُسيء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.

\*\*\*

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

\_\_\_\_\_

## المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تاريخ دمشق لابن عساكر .
- ٣ - تفسير الطبرى .
- ٤ - سنن البيهقى .
- ٥ - سنن الترمذى .
- ٦ - سنن الدارقطنى .
- ٧ - سنن أبى داود .
- ٨ - سنن ابن ماجه .
- ٩ - سنن النسائى .
- ١٠ - شعب الإيمان للبيهقى .
- ١١ - صحيح البخارى .
- ١٢ - صحيح مسلم .
- ١٣ - الفوائد لتمام الدمشقى .
- ١٤ - المسند للإمام أحمد بن حنبل .

- ١٥ - مسند البزار .  
١٦ - المسند الصحيح لابن حبان .  
١٧ - مسند أبى يعلى .  
١٨ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .  
١٩ - المعجم الأوسط للطبرانى .  
٢٠ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي .

\*\*\*



# فهارس الكتاب

أولاً : الآيات القرآنية.

ثانياً : الأحاديث الشريفة .

ثالثاً : الآثار .

رابعاً : الأعلام :

( أ ) أعلام الأشخاص .

( ب ) الأعلام الجغرافية .

خامساً : المحتويات .

---

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

السورة الآية	الصفحة	السورة الآية	الصفحة
البقرة	٣	١٨	٦٧
١٤٣	١٠، ٩، ٨، ٧	٢٦٤	٦٧
	١٣، ١٢، ١١	٢٦٧	٦٧
١٤٤	١٠	٢٧٥	٩٣
١٧٠	٥٠	٢٧٦	٩٤، ٩٣
١٧١	٥٠	٢٧٧	٩٤
١٨٣	٣١	٢٧٨	٩٤
١٨٤	١١٥	٢٧٩	٩٤
١٨٥	١١٥، ٤٦، ٢٥	٢٨٠	٩٤
	١٢١	٢٨١	٩٤
١٨٦	٨٢	٢٨٥	١١٤، ١١٣
١٩٥	٢٣	٢٨٦	٤٧، ٢٥، ٢١
٢٠٠	٣٩		١١٤
٢٠١	٣٩	آل عمران	١٤
٢٠٢	٣٩		١٥
٢٢٢	١٠٩		٩٧
٢١٤	٧٨		٣٨
٢٣٨	٨		١٣٠
٢٥٦	٢٠، ١٩		٩٨

٣٩	٨٨		٩٥	١٣١	
٨	٨٩		٩٦	١٣٢	
٨٧	١٠٤	الأنعام	٩٢، ٩٠، ٧٧	١٣٣	
٢٤	١٤١		٩٨، ٩٢، ٩٠	١٣٤	
٥١	١٥٢		١٠٣، ١٠١		
٨٥	١٥٣		١٠٦، ١٠٥		
٦٦، ٢٧	٣١	الأعراف	١٠٨		
٣٥، ٢٧	٣٢		١٠٧، ٩٢، ٩٠	١٣٥	
٤٠	٢٨	الأنفال	١١٠، ١٠٩		
١٦	١٢٨	التوبة	٩٢، ٩١، ٩٠	١٣٦	
٥٩	٢٦	يونس	١١٢، ١١٠		
٥٩	٢٧		٧٥	١٧٥	
٨٠	٩	هود	٦١	٢٩	النساء
٨١، ٨٠	١٠		١١٤	٤٣	
٨١	١١		٧٨	٧٧	
٦٨	١١٦		١٠٠	١١٤	
٧١	٧٨	يوسف	٥٢	١٣٥	
٨٠	٧	إبراهيم	٥٩	١٣٩	
١٩	١١		٥٤	٢	المائدة
٨٠	٣٤		١١٨	٥	
٧٢	٤٩	الحجر	٥٢	٨	
٧٢	٥٠		١٥	٤٨	
٨٦	٩٧	النحل	٣٩	٨٧	

٦٩	١٧	الفرقان	٤٩	٧	الإسراء
٦٩	١٨		٤٩، ٢٩	١٥	
٦٥	٦٧		٦٨	١٦	
٣٣، ٢٨	٧٧	القصص	٦٥، ٤١	٢٩	
٣٧	٤٥	العنكبوت	٧١	٥٧	
٢٣	٢١	الأحزاب	٦٢، ٦١	٧٠	
١٠٠	٣٩	سبا	٢٢	١١٠	
٥٨	١٠	فاطر	٣٥، ٣٤	٤٦	الكهف
٧٩	٨	الزمر	٣٥	١٠٤	
٧٣	١	غافر	٣٦	٧٦	مريم
٧٣	٢		٥٩	٨١	
٧٣	٣		٨٦	١٢٣	طه
١٠٦، ١٠٣	٣٤	فصلت	٨٦	١٢٤	
١٠٣	٣٥		٨٦	١٢٥	
٥٤	٤٦		٨٦	١٢٦	
٧٩	٥١		٨٦	١٢٧	
٥٧	٣٧	الجاثية	٧٢	٨٩	الأنبياء
٧٠	٣٨	محمد	٧٢	٩٠	
١٠٠	١٥	الذاريات	٣٧	٤١	الحج
١٠٠	١٦		١٣	٧٧	
١٠٠	١٧		١٤، ١٣، ٩	٧٨	
١٠٠	١٨		١١٤، ٤٦، ٢٥		
١٠٠	١٩		١٢٠		

٨١	٢٧		٨٤	١٦	الحديد
٨١	٢٨		٨٤	١٧	
٨١	٢٩		٣٤	٢٠	
٨١	٣٠		٣٣، ٣٢	٢٧	
٨١	٣١		١١٧	٨	المتحنة
٨٢	٣٢		٢١	٩	الجمعة
٨٢	٣٣		٢١	١٠	
٨٢	٣٤		٥٨	٨	المنافقون
٨٢	٣٥		٢١	١٦	التغابن
٢٩	٣٨	المدثر	٦٠	٢٠	الملك
٦٢	٦	الانفطار	٦٠	٢١	
٦٢	٧		٨، ٦	٢٨	القلم
٦٢	٨		٨١	١٩	المعارج
٥١، ٢٧	٧	الشمس	٨١	٢٠	
٥١، ٢٧	٨		٨١	٢١	
٥١، ٢٧	٩		٨١	٢٢	
٥١، ٢٧	١٠		٨١	٢٣	
٦٢	٤	التين	٨١	٢٤	
٧	٥	العاديات	٨١	٢٥	
			٨١	٢٦	

\*\*\*

## ثانياً : فهرس أطراف الأحاديث الشريفة

### ( أ )

٤٦	انت أهلك ..
١٠٧	اتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً
٧٣	أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟
٦٩	اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
٦٩	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
١٠٦	أحسنن إليك ؟ ..
٧٤	إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة ...
٢٩	إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ...
٨٤	إذا صلحت صلح الجسد كله ... ( القلب )
٨٤	إذا فسدت فسد الجسد كله ...
٧٠	إذا كان لك مال فليُر عليك
١١١	أذنب عبد ذنباً فقال ...
١١١	أذنب عبد ذنباً فعلم أن له رباً ...
١٠٦	اذهبوا فأنتم الطلقاء
٧٤	اضطجع على شقك الأيمن ثم قل ...
٦٠	اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ...
٤٥ ، ٤٣	أعط لكل ذي حق حقه

١٠٠	أعط منفقاً خلفاً
١١٦	أعملت من الخير شيئاً ؟
١١١	اعمل ما شئت فقد غفرت لك
٢٢	أفتان أنت ؟ ..
١٠٥	أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ ...
١٠٧	أكذلك ؟ ...
١٠٥	ألا أنبئكم بشر أراكم ؟ ...
١٠٤	ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ...
١١٧	ألا من ظلم معامداً أو كلفه فوق طاقته ...
٨٤	ألا وإن في الجسد مضغة ...
٨٤	ألا وهي القلب
٧٤	أجأت ظهري إليك
٩٩	أما وأبيك لتنبأه أن تصدق وأنت صحيح
٧٤	( آمنت ) بنيك الذي أرسلت
٧٤	آمنت بكتابك الذي أنزلت
١٠٠	اللهم أعط منفقاً خلفاً
٧٤	اللهم إني أسلمت وجهي إليك
١١١	اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ...
١٠٦	اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون
١١٧	أنا حجيجه يوم القيامة



١٩	أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله
١٠٧	إن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت ...
٥٠	إن أحسن الناس أن تحسنوا
٥٠	إن أساءوا فلا تظلموا
٧٧	إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له
٧٧	إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له
٥٨	إن الله جميل يحب الجمال
٦٣	إن الله كريم يحب الكريم
٦٣	( إن الله ) يحب معالي الأخلاق
٦٣	إن الله يحب معالي الأمور وإشرافها ...
٧٧	إن أمره كله له خير ( المؤمن )
٦٠	إن الأمور تجري بالمقادير
٩٩	أن تصدق وأنت صحيح شحيح
١٠٥	إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفته
١٠٧	إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء
٤٥ ، ٤٣	إن لربك عليك حقاً
١٠٠	إن ملكاً بباب من أبواب السماء يقول ...
١٩	إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله
١٠١	إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب

- ١٠٧ إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه  
٧٤ إني أسلمت وجهي إليك  
١١٧ أو تكشف كربته  
١١ أول صلاة صلاها ( الرسول ) صلاة العصر

### ( ت )

- ١١٧ تجاوز الله عنه  
١٠٤ تحلم على من جهل عليك ...  
٩٩ تخشى الفقر وتأمل الغنى  
٩ تدعون فتشهدون له بالبلاغ  
١٠٤ تصل من قطعك  
٨٢ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة  
١٠٤ تعطى من حرمك ...  
١٠٤ تعفو عمن ظلمك ...  
١٠٤ التقى النقي لا إثم فيه ولا بغي  
١١٦ تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا ...

### ( ث )

- ٦٦ ثلثاً لشرابه  
٦٦ ثلثاً لطعامه  
٦٦ ثلثاً لنفسه  
٩ ثم أشهد عليكم

- ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل ... ٧٤
- (ج)
- جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا ٩
- (ح)
- حتى ماتت هزالاً ٧٣
- حتى يخيره فى أى الحور شاء ١٠٢
- حتى يذهب ما فى صدورهم عليك ١٠٧
- حملتهم على أن سفكوا دماءهم ٦٩
- (خ)
- خلوا بينى وبين ناقتى ١٠٧
- (د)
- دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ٧٣
- دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ... ١٠٢
- (ذ)
- الذين لا يقللون عشرة ( شرار الخلق ) ١٠٥
- (ر)
- رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ١١٦
- رغبة ورهبة إليك ٧٤
- (ز)
- زعم أنه رضى ... ١٠٧

(س)

- ساعة وساعة ، ساعة وساعة ٢٤  
سبقت رحمتي غضبي ٧٣  
سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ٦٩

(ش)

- شح هالع وجبن خالع ٧٠  
شر ما فى الرجل شح هالع ٧٠  
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ٨

(ص)

- صدق سلمان ٤٦ ، ٤٣  
صلى ( الرسول ) إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ١١  
صل ونم ٤٦  
الصلاة الوسطى صلاة العصر ٨  
صم وأفطر ٤٦

(ع)

- عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ... ٧٧  
عجلْ لمسك تلفاً ١٠٠  
العز إزارى والكبرياء ردائى ... ٥٧

(ف)

- فأخذ لها من قمام الأرض ١٠٧

٤٥ ، ٤٣	فأعط لكل ذى حق حقه
١١٧	فأنا حجيجه يوم القيامة
٢٩	فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً
٦٦	فإن غلبت ابن آدم نفسه ...
٣٨	فإن لم يستطع فبقلبه
٣٨	فإن لم يستطع فبلسانه
٢٢	فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف
١٠٧	فإنى أرفق بها منكم وأعلم
٩	فتشهدون له بالبلاغ
١٠٧	فتوجه لها بين يديها ...
١٠٧	فردّها حتى جاءت واستناخت
٤١	فرّق الله عليه أمره
١٠٧	فرغم أنه رضى ...
٢٩	فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها
٤٦	فصم وأفطر
١١١	فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب
٢٩	فقالوا : لو أنا خرقتنا فى نصيبنا خرقاً ...
١٠٧	فقتلتموه دخل النار
٢٩	فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء
٧٣	فلا هى أطعمتها

٢٢	فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى
١١٧	فليفرج عن معسر
٥٧	فمن نازعنى واحداً منهما فقد عذبت
١٠٧	فناداهم صاحبها
٧٤	فوضت أمرى إليك ...

### (ق)

١٠٧	قال الرجل ما قال فقتلتموه
٩٩	قلت لفلان كذا

### (ك)

١١	كان ( الرسول ) يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت
٥٨	الكبر بطر الحق وغمط الناس
٥٧	الكبرياء ردائى
١٠٤	كل مخموم القلب صدوق اللسان ...
٦٦	كل واشرب والبس وتصدق ...
٢٩	كمثل قوم استهموا على سفينة
١١٧	كنت أمر فتيانى أن ينتظروا المعسر

### (ج)

١٠٤	لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد
١٩	لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم
٥٠	لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس ...

٩٩	لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
٧٤	لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك
٤٧	لئن كنت أغضبتهم ...
٤٥ ، ٤٣	لأهلك عليك ( حقاً )
٥٨	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
٦١	( لا ينبغي لمسلم أن ) يتعرض للبلاء لما لا يطيق
٦١	لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه
٩٩	لتنبأه أن تصدق وأنت صحيح
٢٤	لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم
٤٦	لضيفك عليك ( حقاً )
٤٧	لعلك أغضبتهم
٤٧	لقد أغضبت ربك
٦١	لكن الغنى غنى النفس
٥٠	لكن وطنوا أنفسكم
٤٦ ، ٣٣ ، ٢٢	لكنى أصلى وأناام
٧٣	لله أرحم بعباده من هذه بولدها
٤٥ ، ٤٣	لنفسك عليك ( حقاً )
٢٩	لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقاً ...
٢٤	لو تدومون على ما تكونون عليه عندي ...
١٠٧	لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال ...

٧٤	لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ...
٧٤	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد
٧٧	ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن
١٠١	ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد ...
٦١	ليس الغنى عن كثرة العرض

## ( م )

١١١	ما أصر من استغفر وإن عاد ...
٤٦، ٣٣، ٢٢	ما بال أقوام قالوا كذا وكذا
٢٤	ما ذاك ؟ ...
٧٤	ما قنط من جنته أحد
١٠٢	ما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان
٦٦	ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه
١٠٢	ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجراً من ...
٢٩	مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ...
١٠٧	مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة ...
٨	ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً
١٠١	ملأه الله أمنأً وأماناً
١١٧	من أراد أن تستجاب دعوته ...
٩٦	من أطاع الأمير فقد أطاعنى



٩٦	من أطاعنى فقد أطاع الله
٣٨	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٤٦، ٣٣، ٢٣	من رغب عن سنتى فليس منى
١١٧	من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته
٩٦	من عصى الأمير فقد عصانى
٩٦	من عصانى فقد عصى الله
٤١	من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره
١٠٢	من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه ...
١٠١	من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ...
١٠٥	من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ( شرار الخلق )
٥٧	من نازعنى واحداً منهما فقد عذبت
١٠٥	من يبغض الناس ويبغضونه ...
١٠٠	من يقرض اليوم يجز غداً ...

#### ( هـ )

٩	هل بلغت ؟ ...
٢٣	هلك المتنطعون ...
٧٠	هل لك من شىء ؟ ...

#### ( و )

٤١	وأنته الدنيا وهى راغمة
٤٦، ٣٣، ٢٢	وأصوم وأفطر

٦٦	والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة
٢٩	وإن أخذوا على أيديهم نجوا ...
٧٧	وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له
١١١	وإن عاد فى اليوم سبعين مرة
١٠٧	وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ...
٦٦	وثلاثاً لشرابه
٤١	وجعل غناه فى قلبه ...
٤١	وجعل فقره بين عينيه ...
٣٨	وذلك أضعف الإيمان
٢٤	والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون ...
١٠٧	وشد عليها رحلها واستوى عليها
٩٩	والصدقة برهان
١٠٠	وعجل لمسك تلفاً
٩٩	وقد كان لفلان
٩٩	ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
٤٥ ، ٤٣	ولأهلك عليك ( حقاً )
٧٣	ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الأرض
١٠٥	ولا يغفرون ذنباً ( شرار الخلق )
١٠٥	ولا يقبلون معذرة ( شرار الخلق )
٤٦	ولضيفك عليك ( حقاً )

٢٤	ولكن يا حنظلة ساعة وساعة
٤١	ولم يؤثمه من الدنيا إلا ما كتب له
٤٣ ، ٤٥	ولنفسك عليك ( حقاً )
٢٤	وما ذاك ؟
١٠٢	وما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان
١٠٠	وملكاً بباب آخر يقول ...
٤١	ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره
٩	والوسط العدل
٧٧	وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن
	( ى )
٤٧	يا أبا بكر لعلك أغضبتهم
١١٧	( يتجاوزوا ) عن الموسر
٩	يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان ...
٩	يدعى نوح يوم القيامة فيقال له ...
٢٢	يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة

\*\*\*

### ثالثاً : فهرس الآثار

الأثر الصفحة

#### (أ)

- ٦٦ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة  
١١٠ استغفاره يحتاج إلى استغفار  
١٢٠، ١١٩ أما إذا أسلمت فهي لك  
١١٨ أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم

#### (ر)

- ١٠٩ رحم الله صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه

#### (ق)

- ٧٥ القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

#### (ل)

- ٧٤ لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل

(م)

- ٧٨ ما أصبت فى دنياى بمصيبة إلا رأيت الله فيها ثلاث نعم : أنها لم تكن فى دينى،  
وأنها لم تكن أكبر منها، وأنتى أرجو ثواب الله عليها.

(و)

- ٤٢ والله ما منعهم حقاً هو لهم، فبنى أحد رجلين : إما رجل يتقى الله فسيجعل الله  
له من كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وإما رجل مكب على  
المعاصى فإنى لم أكن لأقويه على معصية الله.  
٥٥ ولست بإمعة فى الرجال أسائل هذا وذاك : ما الخير ؟

(ى)

- ٦٦ يا بنى : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء  
عن العبادة.  
٧٥ ينبغى تغليب الخوف على الرجاء ما دام الإنسان يغدو ويروح فى الدنيا،  
فإذا خرج منها حسن به تغليب الرجاء على الخوف عند ذلك.

\*\*\*

## رابعاً : الأعلام

### ( أ ) أعلام الأشخاص

تمام الدمشقي ١٢٣، ٦٠	( أ )
ثمالة بن أثال ١٠٧	إبراهيم عليه السلام ٩، ١٠، ١٣، ١٩، ٨٠
جابر بن عبد الله ١١٦	
ابن جرير الطبري ١٠٦، ١٢٣	أحمد بن حنبل (الإمام) ٩، ١٠، ٦٦، ١٢٣، ١٠١، ١٠٠
جعفر الصادق ١٠٦	أبو الأحوص ٧٠
جعفر بن عون ٤٣	آدم عليه السلام ٢٧، ٦١، ٦٦
ابن حبان ١٠٠، ١٢٤	الأعمش ٩
حذيفة ٥٠، ١١٦	أنس بن مالك ٢٢، ٣٣، ٤٦
الحسن البصري (الإمام) ١١٠	البخاري (الإمام) ٩، ١١، ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٤١، ٤٣، ٨٤، ٩٦، ١٠١، ١١١، ١٢٣، ١١٦
حمزة بن عبد المطلب ٤٤	
حنظلة بن الربيع ٢٤، ٢٣	
ابن خزيمة ٤٦	
الدارقطني ٤٦، ١٢٣	البراء بن عازب ١١، ٧٤
أبو داود ٦٦، ٧٠، ١٠٢، ١١١، ١٢٣	البزار ١٠٧، ١٢٤
أبو الدرداء ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦	أبو بكر الصديق ٢٤، ٤٧، ١٠٢
أم الدرداء ٤٣، ٤٤، ٤٥	بلال بن رباح ٤٧
ابن أبي الدنيا ١٠١	البيهقي ١١١، ١١٧، ١٢٣
أبو ربيع حنظلة بن الربيع ٢٤، ٢٣	الترمذي ٩، ٤٤، ٤٦، ٥٠، ٦٦، ١٠٢، ١٢٣، ١١١
زكريا عليه السلام ٧٢	

الزهرى ٧٤	على بن الحسين ١٠٥
زيد بن ثابت ٤١	عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) ٧٣ ، ١٠٩
زيد بن حارثة ٤٤	١١٨
زيد بن سعدة الجبر ١٠٧	عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) ٤٢
سعد بن عباد ٧٤	عمرو بن شعيب ٦٦
أبو سعيد الخدرى ١٠٩	أبو العميس عون بن أبي جحيفة ٤٣
أبو سفيان صخر بن حرب ٤٧	عيسى عليه السلام ١٩ ، ٣٢
سلمان الفارسى ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧	ابن القيم (الإمام) ٧٥
سهل بن أنس الجهنى ١٠٢	لقمان ٦٦
الشافعى (الإمام) ٥٥	ابن ماجه ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤
شريح (القاضى) ١١٨ ، ١١٩	محمد ﷺ ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ،
صهيب الرومى ٤٧	١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣ ،
الطبرانى ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٤	٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ،
الطبرى ١٠٦ ، ١٢٣	٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
عبادة بن الصامت ١٠٤	٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
ابن عباس ٩٨ ، ١٠٥	٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
عبد الله بن عمر ١١٧	١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
عبد الله بن عمرو ١٠٤	١١٩ ، ١٢٠
عبد الله بن مسعود ٢٣	محمد بن بشار ٤٣
ابن عساكر ٦٠ ، ١٢٣	محمد بن جرير الطبرى ١٠٦ ، ١٢٣
ابن عطية ٩٥ ، ١٢٤	محمد فؤاد عبد الباقي ١٢٤
على بن أبى طالب (الإمام) ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠	مريم عليها السلام ١٩ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٥٩
	ابن مسعود ٢٣

مسلم (الإمام) ٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٣،	نوح عليه السلام ٩
٣٨، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٥٨، ٦٩، ٧٣،	أبو هريرة ٧٣، ٧٤، ٩٩، ١٠٠،
٧٤، ٧٧، ٨٤، ٩٩، ١٠١، ١٢٣،	هود عليه السلام ٦٨، ٨٠، ٨١،
مسلمة بن عبد الله ٤٢	يحيى عليه السلام ٧٢
معاذ بن جبل ٢٢	أبو يعلى ١٢٤، ١١١
ميمون بن مهران ١٠٦	يوسف عليه السلام ٧١
النسائي ١٢٣، ٧٠، ٩	يونس عليه السلام ٥٩
النعمان بن بشير ٢٩	

\*\*\*

### ( ب ) الأعلام الجغرافية

أحد ٩٢، ٩٤، ٩٥	صفين ١١٩، ١٢٠
البلد الحرام ١٠، ١٢	الكمة المشرفة ١٠، ١١، ١٢
بيت المقدس ١٠، ١١	المدينة ١٠، ٤٤
الحديبية ٤٧	المسجد الحرام ١٠
دمشق ٦٠، ١٢٣	المغرب ٩٥
الصخرة ١٠	مكة ١٠، ١٢

\*\*\*



## خامساً : فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
★ المقدمة .....	٥
★ وسطية الإسلام .....	٧
مفهوم الوسطية .....	٧
وسطية الأمة .....	٨
وسطية المكان .....	١١
وسطية الزمان .....	١٥
وسطية العقيدة .....	١٧
الوسطية في العبادة .....	٢١
وسطية الأخلاق .....	٢٧
المسؤولية بين الفرد والمجتمع .....	٢٩
الاعتدال بين المادية والروحانية .....	٣١
رد بعض الشبهات .....	٣٨
إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً .....	٤٣
« بين سلمان وأبي الدرداء » .....	٤٣
استقلال الشخصية .....	٤٩
عزة في غير تكبر .....	٥٧
الإنفاق في غير إسراف أو تقتير .....	٦٥

٧١	بين الخوف والرجاء .....
٧٧	بين العسر واليسر .....
٨٣	بين الجانب الحسى والجانب المعنوى .....
٨٩	الوسطية من أبرز سمات المجتمع الإسلامى الفاضل .....
٩٧	الوسطية والجوانب المثالية: .....
٩٨	أولاً : الإنفاق فى السراء والضراء .....
١٠١	ثانياً : كظم الغيظ .....
١٠٣	ثالثاً : العفو عن الناس .....
١٠٥	رابعاً : الله يحب المحسنين .....
١٠٧	خامساً : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله
١١٣	من أبرز سمات الوسطية سماحة التشريع الإسلامى : .....
١١٣	فى العقيدة .....
١١٤	فى العبادة ( الوضوء والصلاة ) .....
١١٥	فى عبادة الصيام .....
١١٦	فى الحج .....
١٢٣	★ المراجع .....
١٢٥	★ فهارس الكتاب: .....
١٢٧	أولاً : فهرس الآيات القرآنية .....
١٣١	ثانياً : فهرس أطراف الأحاديث الشريفة .....

- ١٤٤ ..... ثالثاً : فهرس الآثار  
رابعاً : فهرس الأعلام :  
١٤٦ ..... (أ) أعلام الأشخاص  
١٤٨ ..... (ب) الأعلام الجغرافية  
١٤٩ ..... خامساً : فهرس المحتويات

\*\*\*

\*\*

1

---